١٢- كتَابُ العِلم

٢٤١- باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]، وقال تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨].

الحديث رقم (١٣٧٨)

١٣٧٨ - وعن معاوية رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعظم فضائل العلم، ويقرر أن العلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيرا، والفقه في الدين يشمل الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام، والأحكام، وحقائق الإحسان. فإن الدين يشمل الثلاثة كلها، وقد ورد الحديث في جملة خبرية قصيرة تقرر هذه الحقيقة، وتقرر ضمنا أن من لم يرد الله به الخير لن يفقهه في الدين، وتنكير (خيرا) للتعظيم ؛لأن المقصود به الفوز بالجنة،والنجاة من النار، وهو حاصل التفقه في الدين الذي يثمر الإيمان، والإحسان، وهما طريق الجنة، والتعبير بالفقه إشارة إلى حسن الفهم، وصوابه، و لأن بعض الناس قد يعلم،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (٩٨/١٠٣٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٠).

ولا يفقه، فيأخذ المسألة من غير وجهها، ولا يوفق إلى الصواب، والأمر في ذلك بيِّن واضح، والتقييد بالدين؛ لأنه الموصل لله، وبه النجاة من المهالك، وغيره من العلوم الدنيوية له فضل بتبعيته له، وقيمته على قدر اتصاله به.

فقه الحديث

قال النووي: (الحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغالات بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن، ومن دلائله سوى ما سبق أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين، والنوافل المذكورة مختصة به، ولأن العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس، ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك، ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له في عبادته وغيرها واجب عليه طاته ولا ينعكس، ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه، والنوافل تنقطع بموت صاحبها، ولأن العلم صفة لله تعالى، ولأن العلم فرض كفاية أعني العلم الذي كلامنا فيه، فكان أفضل من النافلة.

وقد قال إمام الحرمين في كتابه "الغياثي": فرض الكفاية أفضل من فرض العين من حيث أن فاعله يسد مسد الأمة، ويسقط الحرج عن الأمة، وفرض العين قاصر عليه، وبالله التوفيق)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على العلم والتفقه في أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العلم والتفقه في الدين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على العلم والتفقه في أمور الدين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٦/١ - ٥٧.

قال ابن حجر في قوله ﷺ: ("يفقهه" أي: يفهمه...، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير)(١)، وقال ابن عثيمين: (إن العلم جهاد في سبيل الله، وعليه يبنى الجهاد وسائر الإسلام، لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٢) يعني لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت طائفة أخرى "ليتفقهوا" أي: الطائفة القاعدون "في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم" أي رجعوا من الغزو "لعلهم يحذرون" فجعل الله تعالى الفقه في دين الله معادلاً للجهاد في سبيل الله، بل أولى منه، لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد، ولا أن يصلي المصلي، ولا أن يزكي المزكي، ولا أن يصوم الصائم، ولا أن يحج الحاج، ولا أن يعتمر المعتمر، ولا أن يأكل الآكل، ولا أن يشرب الشارب...، إلا بالعلم، فالعلم هو أصل كل شيء ولذلك قال النبي ﷺ "مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين")(٣). وفي ذلك حثًا منه ﷺ على تعلم العلم والتفقه في الدين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل العلم والتفقه في الدين:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين".

قال القاضي عياض: (فيه فضل العلم والفقه في الدين، ولأنه يقود إلى خشية الله تعالى وتقاه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٤) وهذا يقود إلى الخير في الآخرة وعظيم الثواب)(٥).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٨/١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٧٠/٢.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٧٠/٣.

(فالعلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ماطلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[١]، (وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووُرَّاثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال.

به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون.

به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام وبه تعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب.

وهو إمام، والعلم مأموم. وهو قائد، والعمل تابع. وهو الصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكَنَف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه.

مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام.

قال الإمام أحمد: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

وروينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)[٢].

ونص على ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه. وقال ابن وهب: (كنت بين يدي مالك رضي الله عنه، فوضعت ألواحي وقمت أصلي، فقال: ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه)[٣].

واستشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجَلّ مشهود به وهو "التوحيد" وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم؛ فإنه سبحانه وتعالى لا

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١١٨، وقال محقق الجامع: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١١٦، وقال محقق الجامع: إسناده صحيح.

يستشهد بمجروح...، والعلم هو حجة الله في أرضه، ونوره بين عباده، وقائدهم ودليلهم إلى جنته)[١].

كما قال ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٢]، (ولم يرغب النبي ﷺ أحدًا في أن يغبط أحدًا على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما: طلب العلم والعمل به، والتاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام)[٣]، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حسَدَ إلاَّ في اثنَتينِ: رجُلٍ آتاهُ اللّهُ مالاً فسلَّطهُ على هَلَكتهِ في الحقّ، ورجُلٍ آتاهُ اللّهُ حِكْمَةً فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها))[٤]، قال ابن حجر: (... وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٥]...، وقوله ﷺ "الحكمة" ... قيل: كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح)[٦]. وما ترغيب النبي ﷺ في ذلك إلا لعظم فضل العلم والتفقه في الدين.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(إن الترغيب من الأساليب الدعوية التي يكون بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وفعل الأمر المدعو إليه، والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الدنيا والآخرة)[٧]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في العلم والتفقه في الدين بقوله "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٣٢٥ - ٣٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٣) كتاب العلم، ابن عثيمين، ٢٠.

(٤) البخاري، ٧٣.

(٥) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٠١.

(٧) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣٧٩)

١٣٧٩- وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

والمراد بالحسدِ: الغِبْطَةُ، وَهُوَ أنْ يَتَمَنَّى مِثله[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة، والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦/٢٦٨) ولفظهما سواء. تقدم برقم (٥٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٢١).

(٢) الترغيب للمنذري (١٢٦/١).

العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٣).

الحديث رقم (١٣٨٠)

١٣٨٠ - وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أصَابَ أرْضًا ؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أجَادِبُ امْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا[١]، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلِكَ رَاسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

أجادب: جمع جَدْبٍ: وهو الأرضُ الصلبة التي لا ينضب منها الماء[٣].

قيعان: جمع قاعٍ: الأرض المستوية التي لا تُنبتُ[٤].

فقُه: صار فقيهًا[٥].

لم يرفع بذلك رأسًا: أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع[٦].

الشرح الأدبي

المتأمل للصورة النبوية في هذا التشبيه التمثيلي يجد أنها من صميم البيئة التي يلابس المخاطب كل دقائقها ، وبالتالي تنعكس على فهمه للمعنى، وثرائه مما يسهم

---

(١) لفظ مسلم: (ورعوا)، والمثبت لفظ البخاري، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢/١٦)، وتقدم برقم (١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د ب).

(٤) المرجع السابق في (ق ي ع).

(٥) رياضا الصالحين ١١٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/١.

في اتساع دلالة التشبيه، قال النووي: (معنى هذا التمثيل أن الأرض ثلاثة أنواع فكذلك الناس؛ فالنوع الأول... المنتفع النافع والثاني: النافع غير المنتفع، والثالث : غير النافع، وغير المنتفع، فالأول إشارة إلى العلماء، والثاني إلى النقلة، والثالث إلى من لا علم له، ولا عقل)[1]. وبتحليل الحديث نستطيع أن نقف على كثير من خصوصيات البيئة التي أثرت المعنى، وألقت بظلالها على مدلول النص.

١- من عادة العربي أن يسمي المطر في الخير بالغيث وفي غيره بالمطر فالغيث يستعمل في الخير، وفيه إشارة إلى أن كل ما جاء به الرسول ﷺ خير، وذكر الإمام العيني وجهاً آخر قال: (فإن قلت لم اختير الغيث من بين سائر أسماء المطر قلت ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيّ الْحَمِيدُ) (الشورى: ٢٨) وقد كان الناس قبل المبعث قد امتحنوا بموت القلوب، ونضوب العلم حتى أصابهم الله برحمة من عنده، وفي الحديث تشبيه ما جاء به النبي ﷺ من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه وتشبيه السامعين له بالأرض المختلفة فالأول تشبيه المعقول بالمحسوس، والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس، وعلى قول من يقول بتثليث القسمة يكون ثلاث تشبيهات على ما لا يخفى، ويحتمل أن يكون تشبيها واحدا من باب التمثيل أي تشبيه صفة العلم الواصل إلى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع، وعدمه بصفة المطر المصيب إلى أنواع الأرض من تلك الجهة قوله فذلك مثل من فقه تشبيه آخر ذكر كالنتيجة للأول، ولبيان المقصود منه..وأما وجه الشبه فهو الجهة الجامعة بين العلم والغيث فإن الغيث يحيي البلد الميت، والعلم يحيي القلب الميت)

٢- في التشبيه بالغيث إشارة إلى عموم الرسالة، لأن المعهود عن الغيث في البيئة أنه يسقي الجميع ولا يسقي شخصا ويترك شخصا بل يعم.

٣- وصف الغيث بالكثير فيه إشارة إلى امتداد العطاء عبر الأجيال لما هو معلوم من أن الماء الكثير يبقى أكثر لاسيما إذا وجدت الأرض التي تحفظه كما تشير بقية الحديث.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ٤٦/١٥ .

٤- تعبير الرسول ﷺ بقوله (أصاب) إشارة إلى تحقق التبليغ، لأن الإصابة ضد الخطاء يقال أَصاب فلانٌ في قوله وفِعْلِه وأَصابَ السهمُ القِرْطاسَ إِذا لم يُخْطِئْ[1] مما يعني تحقق الوصول بالرسالة للمرسل إليهم.

٥- تقسيم الرسول ﷺ لأنواع الأرض في استقبالها للغيث يستوعبها في البيئة إذ أن الأرض إما أن تكون صلبة تمسك الماء، وإما أن تكون خصبة تنبت، وإما أن تكون قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاء وهو من حسن التقسيم كما أنه يشير إلى الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)[2].

شخَّص الرسول ﷺ من خلال البيئة الطبيعية أصناف الناس في استقبالهم لما جاء به من الوحي بأصناف الأرض الثلاثة وقابلها بنوعين من الناس نوع علم وتعلم ونوع أَبَىَ وتكبَّر وسكت عن النوع الناقل وإذا نظرنا إلى مقابله في البيئة من أنواع الأرض نجد أنها لا تذكر لأنها تكون مغطاة بالمياه ونفعها قاصر على إمساك الماء. قال العيني: (ذكر في تقسيم الأرض ثلاثة أقسام وفي تقسيم الناس باعتبار قبول العلم قسمين أحدهما من فقه ونفع الغير والثاني من لم يرفع به رأسا وإنما ذكره كذلك لأن القسم الأول والثاني من أقسام الأرض كقسم واحد من حيث إنه ينتفع به والثاني هو ما لا ينتفع به وكذلك الناس قسمان من يقبل ومن لا يقبل وهذا يوجب جعل الناس في الحديث على قسمين من ينتفع به ومن لا ينتفع وأما في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام فمنهم من يقبل من العلم بقدر ما يعمل به، ولم يبلغ درجة الإفادة ومنهم من يقبل ويبلغ، ومنهم من لا يقبل...)[3][4].

المضامين الدعوية[5]

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ص: ٢٠٤.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٠٤ / كتاب تفسير القرآن/ باب ٢ ومن سورة البقرة / حديث : ٢٩٥٥ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢ / ٧٩

(٤) ينظر أثر البيئة في اتساع مدلول التشبيه النبوي د. ناصر راضي الزهري إبراهيم / بحث منشور في كلية الآداب جامعة سوهاج / العدد السادس والعشرين لسنة ٢٠٠٦م

(٥) تم ذكرها في شرح رقم (١٦٢).

الحديث رقم (١٣٨١)

١٣٨١- وعن سهل بن سعد ﵁ : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ لِعَلِيٍّ ﵁ : ((فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ انْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

حُمْرُ النَّعم: الإبل الحمراء[2]، وهي أكرمها عند العرب.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب القسم، وهو من البدايات التي تحقق سيطرة الأسلوب لأنها تشوق المخاطب إلى معرفة سر القسم وما يسفر عنه والقسم : (معناه: الحلف واليمين، وهو ضرب من ضروب الإنشاء غير الطلبي وهو أما أن يكون بجملة فعلية نحو اقسم بالله أو بجملة اسمية نحو يمين الله لأفعلن كذا ، أو بأدوات القسم وهي الياء، والواو، والتاء، واللام، والميم المكسورة)[3] (وألفاظ القسم وأدواته التي شاعت في الحديث الشريف عموماً هي (القسم باللام والقسم بالواو، وقد ورد فيها (وأيم الله - ورب الكعبة - والذي نفسي بيده - والذي نفس محمد بيده - والله - مقلب القلوب)' وأكثر هذه الألفاظ تردداً، والذي نفسي بيده، والذي نفس محمد بيده، ورب الكعبة، وهذه الألفاظ تعتبر من قاموس الرسول ﷺ الخاص فلم ترد في الحلف قبله مثل هذه الألفاظ بهذه الصيغة، ووردت قليلاً بعده في حلف بعض الصحابة الذين اتصلوا به كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وذلك للتأثر المباشر بالرسول ﷺ أما بعد هذا العهد،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦/٣٤) واللفظ له، وتقدم برقم (١٧٥) مطولا.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ع م).

(٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي د . عبد السلام هارون صـ ١٦٢.

فلعل هذا الأسلوب لم يرد ليظل أسلوباً منفرداً في الحديث الشريف، ولنستطيع التأكيد على أن أسلوب القسم وبخاصة هذه الألفاظ خصيصة يعرف بها الحديث الشريف الصحيح من غيره[١] وفي هذا الحديث أقسم الرسول ﷺ بلفظ (الله) ثم صعَّد التوكيد باللام، و(أن) لتوكيد الخبر تعظيما له، وتنبيها للمخاطبين على أهميته، والتعبير بالهداية، ونسبتها لله توحي بأن مرد التوفيق في هداية النفس، أو هداية الناس لا يتحقق إلا من بإذن الله الأمر الذي يعود بالداعي إلى ربه ليوفقه متبرئاً من حوله، وقوته إلى حول الله، وقوته وتنكير (رجلا) للتقليل، وذكر لفظ العدد (واحدا) للتوكيد، وقوله (خير) أفعل تفضيل، والمفضل عليه هو حمر النعم، وهي من كرائم أموال العرب، وتقديم الجار، والمجرور (لك) يفيد التخصيص أي لك وحدك، وهو ما يشير إلى عظمة أجر الدعوة إلى الله تعالى.

المضامين الدعوية[٢]

(١) ينظر بناء الجملة في الحديث الشريف في الصحيحين د. عودة خليل أبو عودة صـ ٦٦١.

(٢) تم تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٧٥).

الحديث رقم (١٣٨٢)

١٣٨٢ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**)). رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

ولا حرج: الحرج في الأصل: الضيق، ويقع على الإثم والحرام، وقيل: الحرج أضيق الضيق، والمعنى: لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدثوا عنهم ما سمعتم[(٢)].

فليتبوأ: لينزل منزله من النار، يقال: بوّأه الله منزلاً، : أسكنه إياه[(٣)].

الشرح الأدبي

العلم هو النور الأعظم الذي جاء به الرسول ﷺ ينير الطريق إلى الله بعد أن تخبطت الأمم في دياجير الجهل، ولذلك أراد أن يصل قبس النور إلى كل شبر من الأرض فندب أمته لحمل أمانة نشر الدين، وقوله (بلغوا عني) أمر توجيه، وإرشاد يبعث النور إلى أقطار الأرض، وافتراضه (ولو آية) يؤكد أمره، ولا يقيده بحد معين قد يعجز عنه بعض الناس، وهو ذكاء فطري يجعل الأمة كلها تشارك؛ لأنه من المستبعد أن يوجد مسلم لا يحفظ آية، وبذلك تكون الأمة كلها منوطة بالتبليغ كل على قدر علمه، واستطاعته، وقوله (وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ) للاعتبار بأحوالهم، وأحوال رسلهم حتى لا نقع فيما أغضب الله عليهم، وقوله (وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً

---

(١) برقم (٣٤٦١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر ج).

(٣) المرجع السابق في (ب و أ).

فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) يبين فيه الرسول ﷺ خطر الكذب عليه وعقابه، لأن الكذب على الرسول وهو المشرع من قبل الله يؤدي إلى تضليل الأمة فما هلك اليهود ومن بعدهم النصارى إلا بكذبهم على أنبيائهم، فهو مما تعم به البلوى ويعظم به الخطب، ولذلك جاء أمره (فليتبوأ) تهديدا، ووعيدا، ومعناه فلينزل منزلة منها، أو فليتخذ منزلا بها[1] وصورة الفعل المضارع تصور الكاذب على الرسول ﷺ بصورة من يعد لنفسه منزلا في جهنم، والعياذ بالله ووقوع هذا الأمر في جواب الشرط إشارة إلى ترتبه على الفعل؛ ليسلم لكل إنسان قياد نفسه، ويحمّله مسئولية هذا القياد، وما يؤول إليه بحسب ما يفعل، ويختار.

فقه الحديث

١- قال النووي: (يجب تبليغ العلم فهو فرض كفاية، فيجب تبليغه بحيث ينتشر، وذلك لقوله ﷺ في خطبة الوداع "يبلغ الشاهد الغائب"[2])[3].

وقال القرطبي: (وتبليغ القرآن والسنة مأمور بهما، كما أمر النبي ﷺ بتبليغهما فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[4] وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: "بلغوا عنّي ولو آية ..." الحديث[5].

٢- التحديث عن بني إسرائيل: قال ابن كثير في مقدمة كتابه "البداية والنهاية": (ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله، مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل

---

(١) ينظر هدي الساري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـ ١ صـ ٢٤٣ كتاب: (العلم) حديث ١٠٧

(٢) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٤١/١١/٦، بتصرف.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٣٧/٨ .

التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه. وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ما صحَّ نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه، وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، العلي العظيم، فقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾(١). وقد قص الله على نبيه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات، وذكر الأمم الماضين، وكيف فعل بأوليائه، وماذا أحلَّ بأعدائه، وبيَّن ذلك رسول الله ﷺ لأمته بيانًا شافيًا، كما سنورد عند كل فصل ما وصل إلينا عنه صلوات الله وسلامه عليه من ذلك تلو الآيت الواردات في ذلك، فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب، مما لا فائدة فيه لكثيرٍ من الناس، وقد يستوعب نقله طائفةٌ من علمائنا أيضًا، ولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونبيِّن ما فيه حق منها يوافق ما عندنا، وما خاله يقع فيه الإنكار.

فأما الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً، وحدِّثُوا عن بَنِي إسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ، وحدِّثُوا عنِّي ولا تكذبوا عليَّ، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقْعَدَهُ من النَّارِ)). فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدِّقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه، استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان، فذاك مردودٌ لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسوله محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما قد وقع فيه خبط وخلط، وكذبٌ ووضعٌ، وتحريفٌ وتبديلٌ، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغييرٌ. فالمحتاج إليه قد

(١) سورة طه، آية: ٩٩.

بيّنه لنا رسولنا، وشرحه وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله)[١].

٣- الكذب على رسول الله ﷺ: قال ابن حجر: (وقد اتفق الفقهاء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، بالغ الشيخ أبو محمد الجويني بكفر من وقع منه ذلك وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يميل إليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على تبيلغ الدعوة إلى الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والتقول على رسول الله ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترهيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: الحث على تبليغ الدعوة إلى الله:

إن الدعوة إلى الله تعالى، من أكرم الأعمال وأشرف الغايات وأنبل المقاصد، لذا أمر النبي ﷺ بتبليغها وحث على بيانها، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "بلغوا عني ولو آية".

وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة لأمته في ذلك، فقد بلّغ رسالة ربه أتم البلاغ، وقام بها أتم القيام، فعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَن حدَّثك أنَّ محمدًا ﷺ كتَمَ شيئًا مما أُنزِلَ عليه فقد كذَب، واللهُ يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣]))[٤].

قال السعدي: (وهذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٧/١ – ٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٩/٦، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٨/٢ .

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦١٢، ومسلم ١٧٧.

وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد، والأعمال، والأقوال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشر، ويسر، وعلّم الجهال الأميين حتى صاروا في العلماء الربانيين. وبلّغ، بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة، من الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين... إلخ)[١]، والنبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة لأمته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٢] (فعلى كل مسلم أن يقتدي به ﷺ في تبليغ دعوته شريطة أن يكون قد علمها وأنها من كلام الرسول ﷺ)[٣].

وحتى يتسنى للداعية أن يقتدي بنبيه ﷺ في تبليغ دعوة ربه؛ (فإنه يجب عليه أن يشعر بأن دعوته حية في أعصابه، متوهجة في ضميره، تصيح في دمائه، فتعجله عن الراحة والدعة، إلى الحركة والعمل، وتشغله بها عن نفسه وولده وماله... وهذا هو الداعية الصادق، تحس إيمانه بدعوته في النظرة، والحركة، والإشارة، وفي السمة التي تختلط بماء وجهه وهو الداعية الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته.

ولا نقصد بهذا أن يكون الداعية رجلاً مهرجًا، يصطنع الحماسة ليلعب بحماسة الجماهير لأتفه الغايات، ويثير مشاعرهم إثارة مصطنعة، فذلك شأن الدخيل المدّعي لما ليس فيه، بل نريد الصنف المفطور على يقظة الطبيعة، الذي يتكلم فتتكلم أسرار الدعوة في ألفاظه ونبراته، وهو إذ يفعل ذلك لا يثيرهم إلى باطل، بل يهيئهم لقبول الحق الذي يألفه العقل والفطرة... وإذا كان هذا لازمًا للرسالات الأرضية على ما فيها من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٤٧٩/٢.

باطل، فهو ألزم للإسلام، لأنه رسالة الحق الخالص، وبين الحق وفطرة الإنسان نسب، فكلاهما من روح الله، فإذا أثرت حماسة قلب المرء إلى حقائق هذه الرسالة؛ رأيت فطرته تسرع إليها إسراع الأليف إلى أليفه في غير إنكار ولا تردد، وتقبل عليها في معرفة وثقة ويقين، بل في لذة وشوق وحنين ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(1)، ذلك بأن الحق مسطور بقلم الله في كل فطرة، والفطر السافرة التي لا رين عليها إذا سمعت الحق يتلى في أي وجه، أحست أنه صدى أحاديثها، وصورة ما هو مكتوب في أطوائها ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(2).

... إن على الداعية إلى الله تعالى، أن يعي أن الدعوة هي: نقل أمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمته، وفيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته.

ومن المؤسف أن هناك جماعات تظن الإصلاح مدارس تنشأ، وجامعات تقام، وترعًا تحفر، ومصحّات تبنى، ومصارف تدبر المال، ومصانع تسد حاجة البلاد، إلى آخر ما هنالك مما يدور على ألسنتهم، ويشيع من أنديتهم وصحفهم، وليس هذا من الإصلاح في شيء، إنما هو ضرورات حيوية، يجب أن يسار إليها، مع منطق الحاجة الاجتماعية، أما أنها هي الإصلاح والإنقاذ فلا... أرأيت لو أن إنسانًا رأى غريقًا جائعًا أشرف على الغرق، فشرع يبحث له عن طعام يسد به جوعه، ماذا تكون نتيجة حماقة هذا الإنسان؟ وماذا تكون نتيجة حماقته لو أنه ترك مريضًا ومرضه فلم يستدع له الطبيب، واستدعى معلمًا يعلمه الحساب أو شيئًا من هذا القبيل؟!

ماذا أغنى الاهتمام بالترع والجسور والمدارس والمصانع والمسارح والصحف وغيرها في أوروبا؟ ماذا أغنى الاهتمام بهذا - والروح مريض، والاتجاه القلبي فاسد، ماذا أغنى

---

(1) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(2) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

ذلك غير الاضطرابات والقلاقل والمبادئ التي تقوم ثم تزول، والحروب التي تنطفئ ثم تستعر إلى ما شاء الله.

أيها الداعية، أنت بصدد أمة، بل بصدد إنسانية تعيش في محيط آسنٍ خانقٍ، ومهمتك أن تنقلها إلى المحيط العذب الفسيح الهنيء، من محيط المادية إلى محيط الربانية، من محيط قلبي إلى محيط قلبي آخر، ثم أنشئ لها بعد ذلك ما تدعو إليه ضرورة الحياة الجديدة.

فأقبل بقوة على غرضك، وأجمع له عزيمتك، ودبر له خطتك، واستفت رسالتك دائمًا فيما تريد عمله، فإن أفتتك بطبع كتاب فاطبعه وأنشره، وإن أفتتك بفتح مدرسة مدرسة فافتحها، ولا تظن هذا يناقض ما حملنا عليه سابقًا، فإنك تفتحها وتنشئها لنقل التعليم من محيط إلى محيط، ونقل القلب من حال إلى حال)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (وبني إسرائيل من أسماء اليهود نسبة إلى أبيهم إسرائيل، وقد أطلق القرآن عليهم عبارة "أهل الكتاب" وهي لا تعني أنهم أصحاب علم بالكتاب وإنما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله وهو التوراة)[2].

وقد بين الخطابي أن قوله ﷺ "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (ليس معناه إباحة الكذب في أخبار بني إسرائيل، ورفع الحرج عمن نقل عنهم الكذب، ولكن معناه: الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ، وإن لم يتحقق صحة ذلك بنقل الإسناد، وذلك لأنه أمرٌ قد تعذر في أخبارهم، لبعد المسافة، وطول المدة ووقوع الفترة بين زماني النبوة)[3].

وقال ابن كثير: (وقوله ﷺ "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" محمولٌ على

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ٣٤ - ٣٦.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ٢٩.

(٣) معالم السنن ٥/٢٥٤.

الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يُصدقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه، استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان، فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسوله محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيدهم مما قد وقع فيه خبط وخلط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغييرٌ. فالمحتاج إليه قد بينه لنا رسولنا، وشرحه وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ))[1] وقال أبو ذر رضي الله عنه: ((لقد توفي رسول الله ﷺ وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أذْكَرَنا مِنْهُ عِلْمًا))[2])[3].

وفي بيان ما هو مسكوت عنه عندنا من الإسرائيليات، قال الحافظ ابن كثير: (وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا يختلف علماءُ أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه، تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٠٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥٥٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/٥، رقم ٢١٣٦١ بلفظ: ((لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا اذكرنا منه علمًا))، وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٩٠/٣٥.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٢٢.

وقد علق الشيخ أحمد شاكر على كلمة ابن كثير هذه، فقال: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كذبه شيءٌ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها أو في تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يُوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبيِّن لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم ((أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم))[1]، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفرًا)[2].

وقال ابن حجر في تفسير قوله ﷺ "لا حرج" (أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل معنى قوله "لا حرج": لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرًا، وقيل لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولا "حدثوا" صيغة أمر تقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله "ولا حرج" أي في ترك التحديث عنهم. قيل المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾[3] وقوله ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾[4] وقيل المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف، وهذا أبعد الأوجه.

وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨٥.

(٢) نقلاً عن محققي مسند الإمام أحمد ٢٨/٤٦١ - ٤٦٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٤.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٣٨.

فلا. وقيل المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح، وقيل المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحدث بها الاتصال، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد. وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله: ((إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم))[١] ولم يرد الإذن ولا المنع من التحديث بما يقطع بصدقه)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والتقول على رسول الله ﷺ:

هذا ما أكد عليه الحديث من قوله ﷺ "ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار". (وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك وكلام القاضي أبي بكر العربي يميل إليه)[٣].

(وقوله "فليتبوأ" أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنًا، وهو أمر بمعنى الخبر أيضًا، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء على فاعل ذلك أي بوأه الله ذلك. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى من كذب فليأمر نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا، قال: وأولها أولاها، فقد رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر بلفظ ((بنى له بيت في النار))[٤] قال الطيبي: فيه إشارة إلى معنى القصد في الذنب وجزائه، أي كما أنه قصد في الكذب التعمد فليقصد بجزائه التبوء)[٥].

وقد تواترت النصوص النبوية في الترهيب من الكذب على رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

(٣) المرجع السابق ٥٧٦/٦.

(٤) أخرجه أحمد ٣٩/٣، رقم ١١٣٥٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٤٨/١٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٤٣/١.

وكان منها قوله ﷺ ((لا تَكذِبوا عَلَيَّ، فإنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النارَ))[١].

قال ابن حجر: (وقوله "لا تكذبوا علي" هو عام في كل كاذب، مطلق في كل نوع من الكذب، ومعناه لا تنسبوا الكذب إليّ. ولا مفهوم لقوله "علي" لأنه لا يتصور أن يكذب له لنهيه عن مطلق الكذب. وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب وقالوا: نحن لم نكذب عليه بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته، وما دروا أن تقويله ﷺ ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى، لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه. ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيت ما ورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لا عليه، وهو جهل باللغة العربية. وتمسك بهضم بما ورد في بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت وهي ما أخرجه البزار من حديث ابن مسعود بلفظ "من كذب علي متعمدًا ليضل به الناس" [٢] الحديث، وقد اختلف في وصله وإرساله. ورجح الدارقطني والحاكم إرساله، وأخرجه الدارمي من حديث يعلى بن مرة بسند ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فليست اللام فيه للعلة بل للصيرورة كما فسر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾[٣] والمعنى أن مآل أمره إلى الإضلال، أو هو من تخصيص بعض أفراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾[٤] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾[٥] فإن قتل الأولاد ومضاعفة الربا والإضلال في هذه الآيات إنما هو لتأكيد الأمر فيها لا لاختصاص الحكم)[٦].

(١) أخرجه البخاري ١٠٦.
(٢) أخرجه البزار ٢٦٢/٥، رقم ١٨٧٦.
(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤٤.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٠.
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥١.
(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤١/١.

قوله "فليلج النار" (جعل الأمر بالولوج مسببًا عن الكذب، لأن لازم الأمر الإلزام والإلزام بولوج الناس سببه الكذب عليه أو هو بلفظ الأمر ومعناه الخبر، ويؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ ((من يكذب عليّ يلج النار))[١]. ولابن ماجه من طريق شريك عن منصور قال: (الكذب عليّ يولج - أي يدخل - النار))[٢])[٣].

وفي ذلك بيان لأهمية التثبت في الحديث عن النبي ﷺ، والحذر من الكذب عليه.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترهيب:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة في حمل وإرشاد المدعو على فعل ما فيه خير له في الدنيا والآخرة، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من أمره ﷺ بتبليغ دعوة ربه وبيانها، وذلك في قوله ﷺ "بلغو عني ولو آية".

قال ابن حجر: (قوله: "بلغوا عني ولو آية"، قال المعافى النهرواني في كتاب: "الجليس": الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معان: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة. فمن الأول قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[٤]، ومن الثاني: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾[٥]، ومن الثالث جعل الأمير فلانًا اليوم آية. ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة: أنه قيل لها آية لدلالتها وفصلها وإبانتها. وقال في الحديث: "ولو آية" أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ)[٦].

(أما الترهيب فهو أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق المدعو فيحمله على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وذلك ببيان ما

(١) أخرجه مسلم ١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٤١/١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٨.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

أعده المولى جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترهيبه ﷺ من الكذب والتقول عليه، وذلك في قوله ﷺ: "ومن كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار".

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٤٨٨، ٥١٥.

الحديث رقم (١٣٨٣)

١٣٨٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

سلك: دخل أو مشى[٢].

يلتمس: يطلب[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في السعي إلى العلم الذي يوصل إلى معرفة الله تعالى، وحدود دينه، ولذلك قال الله تعالى- {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر٢٨) فجعل الخشية الحقيقة الكاملة مقصورة على العلماء دون غيرهم، وهو ما يؤكد قيمة العلم الذي يحقق الغاية من خلق البشر، وهي تعبيد الناس لربهم، وقد جاء الحديث في أسلوب الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وقد ربط سلوك طريق العلم بتسهيل طريق الجنة، ولهذا الشرط بُعد نفسي يجعل الساعي في طريق العلم يتحمل المعاناة، والألم، ويضحي بمتع الدنيا من أجل العلم الذي يرى به نفسه ساعيا إلى الجنة.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم (٢٦٩٩/٣٨) وهو جزء من حديث طويل. تقدم برقم (٢٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٥) ضمن حديث طويل.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ك).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل م س).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٤٥).

الحديث رقم (١٣٨٤)

١٣٨٤ - وعنه أَيضًا رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يفتح باب الخير على مصراعيه لكسب الحسنات بالدعوة إلى الصالحات، وبذلك يندب، ويرغب كل أفراد الأمة إلى أن يكونوا دعاة خير في كل مكان، وزمان بما يصلح وجه الأرض، ويقضي على كل أشكال السلبية، وقد بدأ بأسلوب الشرط عن طريق الاسم الموصول المتضمن لمعنى الشرط (مَنْ) لكي يدخل الجميع عن طريقه تحت الحكم، وفعل الشرط (دعا) والدعاء طلب الإقبال، وتعلقه بالهدى يبين حسن النية، ونبل المقصد، والذي يقرره لفظ الهدي الموحي بالرشاد، وحسن الاختيار في ما يقود الناس إليه، وجواب الشرط (كان له من الأجر مثل) يقرر تحقق الأجر بهذه الدعوة لهذا الداعي، ولفظ (مثل) يقتضي التساوي في الأجر، وجمع كلمة أجور يوحي باتساع دائرة الخيرية، واتساع قدر الجزاء المرتبط بها مما يرغب في الفعل عن طريق بيان عظمة الجزاء المتضاعف كلما زاد المقتدون به في الخير، وقوله (لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً) تتميم بلاغي يفيد استقلال الأجر لكل منهم بتمامه حتى لا يتوهم المقتدي أن الداعي انتقص أجره بدعوته له، والتعبير باسم الإشارة (ذلك) لتعظيم هذا الأجر، وتنكير(شيئا) يفيد العموم أي لا ينقص قليلا، ولا كثيرا مما يقرر عظمة جزاء الداعي دون نقص جزاء المدعو.

---

(١) برقم (٢٦٧٤/١٦)، وتقدم برقم (١٧٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على هداية الناس ونفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم أجر الداعية إلى الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح:

إن الدعوة إلى الله تعالى والحرص على هداية الناس، من أهم الواجبات وأقدس المهمات؛ التي بعث الله تعالى من أجلها رسله وأنبيائه وأنزل شرعه وكتابه.

إذًا فالدعوة إلى الله تعالى أرقى وأشرف مهنة؛ لأنها وظيفة الرسل عليهم السلام، وهم أشرف الخلق على الإطلاق، وأكرمهم وأقربهم إلى الله تعالى، وهي وظيفة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين الذين يهدون الناس إلى الحق، ويحببون الخير إليهم، ويخرجونهم من غياهب الظلمات إلى فجر النور والعلم والإيمان[1].

لذا كانت من أفضل الطاعات وأكثرها ثوابًا وهذا ما بيّنه رسول الله ﷺ في نص الحديث من قوله ﷺ "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا".

قال الطيبي: (قوله: "من دعا إلى هدي" قال القاضي البيضاوي: أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذاتها لكنه تعالى أجرى عادته بربط الثواب والعقاب ارتباط المسببات بالأسباب وفعل العبد ما له تأثير في صدوره بوجه، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره ويزاوله يترتب كل منهما على ما هو سبب فعله كالإرشاد إليه والحث عليه، ولما كانت الجهة التي بها استوجب المسبب للأجر والجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئًا. أ هـ.

أقول -أي الطيبي-: "هدي" وهو إما للدلالة الموصلة إلى البغية، أو مطلق الإرشاد وهو في الحديث ما يهتدي به من الأعمال الصالحة وهو بحسب التنكير مطلق شائع في

---

(١) الدعوة الإسلامية "مفهومها وحاجة المجتمعات إليها"، محمد خير يوسف ص ٢٧ - ٢٨.

جنس ما يقال له هدى يطلق على القليل والكثير والعظيم والحقير، فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المؤمنين لأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم الدين).

وفي بيان أهمية وفضل الدعوة إلى الهدى والصلاح قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: (وفي قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة" أي منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[2]، وقال السعدي: (ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية، ثم بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح فقال "وأولئك هم المفلحون" أي المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب)[3].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على هداية الناس ونفعهم:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل من تبعه.. إلخ" ففيه ترغيب للدعاة إلى الله وحث لهم على مضاعفة جهودهم في دعوة الناس إلى الله، وإرشادهم إلى طريقه والمسارعة إلى مرضاته، ليكون خير متعد، ونفعهم واصل إلى الكافة، فيكون أجرهم موفورًا، وسعيهم مشكورًا [4].

وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٩١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ١١٢.

(٤) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر الصافح، ص ٤١.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١) أي دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير...، وقال الحسن البصري بعد أن تلا هذه الآية (هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله)(٢).

وقال القاسمي في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أي: لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد.

كما أنه ذكر في الآية عدة لطائف منها:

الأولى: قال القاشاني: وإنما قدم الدعوة إلى الحق والتكميل، لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعملي، وإلا لما صحت الدعوة.

الثانية: في الآية إشارة إلى ترغيبه ﷺ في الإعراض عن المشركين، وعما كانوا يقولونه من اللغو في التنزيل، وإرشاده إلى المواظبة على التبليغ، والدعوة، ببيان أن ذلك أحسن الطاعات ورأس العبادات. فهذا هو سر انتظام هذه الآية في إثر ما سبق، وثمة وجه آخر، وهو أن مراتب السعادات اثنان: كامل وأكمل. أما الكامل فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة، اشتغل بعدها بتكميل الناقصين، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾(٣)، إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/١٧٩، ١٨٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

النفس في جوهرها. فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة، وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي الانتقال بتكميل الناقصين، وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله تعالى: "ومن أحسن قولاً" الآية.

واعلم أن من آتاه الله قريحة قوية، ونصيبًا وافيًا من العلوم الإلهية، عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن، أفاده الرازي.

الثالثة: يدخل في الآية كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة؛ لأن الدعوة الصحيحة هي الدعوية النبوية، ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق، وإيثاره على الخلق.

الرابعة: في الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى - على ما قرره الرازي - لأن الدعوة إلى الله أحسن الأعمال، وكل ما كان أحسن الأعمال، فهو واجب)[١].

وقد حث النبي ﷺ على الدعوة إلى هداية الناس ونفعهم فقال: ((فو الله لأَنْ يُهدَى بكَ رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم))[٢]، قال النووي (وحُمْرُ النعم هي الإبل الحمر وهي: أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم أجر الداعية إلى الله:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا. وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ))[٤] وقال ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٥] قال ابن علان (وفي ذلك بيان عظيم على فضل الله وكمال كرمه وإنما لم ينقص ذلك ثواب العامل

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٣/١٤/٨ - ٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢١٠، ومسلم ٢٤٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧١.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٥) أخرجه مسلم، ١٨٩٣.

لاختلاف وجهتي الإنابة فهي للداعي من حيث الدعوة وللعامل من حيث العمل)[١].

وقال النووي: (وفيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٢].

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

الحديث رقم (١٣٨٥)

١٣٨٥- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا مَاتَ (ابْنُ آدَمَ)[١] انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

جارية: دائمةٌ متصلة[٣].

الشرح الأدبي

يعتمد الأسلوب البلاغي لهذا الحديث أسلوب التشويق في عرض المعنى عن طريق أسلوب الشرط، والتفصيل بعد الإجمال مع حسن التقسيم، والإيجاز غير المخل فأسلوب الشرط (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ)، ويحقق التشويق من حيث أن النفس تتعلق بالجواب إذا ذكر الشرط، والإجمال في قوله: (ثلاث) وهي تحقق التشويق برغبة النفس في معرفة ما يسفر عنه العدد فإذا فصَّل بعد ذلك كان له في النفس فضل تمكن، وقد بدأ تفصيلها بقوله (صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ووصف الصدقة بالجارية يعطيها بعداً إيحائياً بالامتداد، والتجدد في العطاء، الذي يترتب عليه استمرار الأجر، ووصف العلم بالانتفاع به يشير إلى العلم المؤثر الفاعل، فكم من علم يضر، ولا ينفع !، وكم من علم نفع الناس، وضر صاحبه يوم قصد به غير وجه الله !، والفعل المضارع (ينتفع) يصور التجدد، والاستمرار حتى بعد موت صاحبه مما جدد له الأجر، ووصف الولد بالصالح يشير إلى عمل والده على إصلاحه في

(١) لفظ مسلم: (الإنسان)، وقد سبق برقم (٩٥٣) وفيه بلفظ: (الإنسان)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٦٣١/١٤)، وتقدم برقم (٩٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ى).

حياته، واستمراره على الصلاح الذي تدل عليه اسمية الوصف (صالح)، وقوله (يدعو له) يصور الفعل المضارع استمرار الفعل، وتجدده، الذي يؤدي إلى تجدد الثواب، واستمراره، وهي دعوة لكل عاقل لكي يتخذ لنفسه عملاً ينتفع به بعد مماته يصله بمدد من الحسنات لا ينقطع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٥٠).

الحديث رقم (١٣٨٦)

١٣٨٦ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلاَّ ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وما والاه: طاعة الله[2].

الشرح الأدبي

البداية بالدنيا، والإخبار عنها باللعنة، وهي ظرف لنا، وما زلنا على ظهرها أمر يسترعي انتباهنا كمخاطبين بالحديث، والتعبير باللعنة يوحي بالغضب، وينبه على خطأ، ويوحي بمشاعر الرهبة ثم إن ثبات معنى اللعنة المفهوم من التعبير بالجملة الاسمية يشير إلى دوام هذه الصفة للدنيا، وأنها لن تنفك عنها يوماً لتطيب لأحد ثم إنه كرر اللعنة لما فيها، وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به، لأنه هو الذي يشغل الناس عن آخرتهم، إلا ما تصل بالآخرة منه، ولذلك جاء قوله (إلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً) وفيه تعظيم لقيمة الذكر، وما والاه أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب، أو معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير، أو تابعه من إتباع أمره، واجتناب نهيه؛ لأن ذكره يوجب ذلك، وفيه بيان لفضل الانشغال بالعلم تعليماً،

---

(١) برقم (٢٣٢٢) بنحوه، وهذا لفظ ابن ماجه (٤١١٢)، وتقدم برقم (477). أورده المنذري في ترغيبه (١١٧).

تنبيه: الحديث أورده المنذري في ترغيبه، وعزاه إلى الترمذي، وابن ماجه، والبيهقي، واللفظ لابن ماجه، والبيهقي في شعب الإيمان، فلما أورده المؤلف في ترغيبه، اكتفى بذكر الترمذي، ولفظه: (إن الدنيا..)، (وعالمٌ ومتعلمٌ).

(٢) رياض الصالحين ٤٧٩.

وتعلماً؛ لأن العلم طريق لله، ولذلك كان طريقاً للجنة، وفي الحديث سجع بديع بين قوله (إلاَّ ذِكْرَ اللهِ) وبين (وَمَا وَالاهُ) وجناس رقيق بينَ عالِماً ، وَمُتَعَلِّماً) يؤكد أفضلية الطرفين باستثنائهم من اللعنة العامة التي شملت الدنيا، وما فيها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ذم الدنيا وكل ما يلهي عن ذكر الله وعبادته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من واجبات الداعية: طلب العلم وتعليمه.

أولاً – من موضوعات الدعوة: ذم الدنيا وكل ما يلهي عن ذكر الله وعبادته:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالمًا، أو متعلمًا" قال ابن القيم: (ولما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة كانت وما فيها في غاية البعد منه وهذا هو حقيقة اللعنة وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة للآخرة ومعبرًا إليها يتزود منها عباده إليه فلم يكن يقرب منها إلا ما كان متضمنًا لإقامة ذكره ومفضيًا إلى محابه وهو العلم الذي يعرف الله ويعبد ويذكر ويثنى عليه ويمجد ولهذا خلقها وخلق أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وقال ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[2] فتضمنت هاتان الآيتان أنه سبحانه إنما خلق السماوات والأرض وما بينهما ليعرف بأسمائه وصفاته وليعبد فهذا المطلوب وما كان طريقًا إليه من العلم و التعلم فهو المستثنى من اللعنة واللعنة واقعة على ما عداه إذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه وهذا هو متعلق العقاب في الآخرة فإنه كما كان متعلق اللعنة التي تتضمن الذم والبغض فهو متعلق العقاب والله سبحانه إنما يحب من عباده ذكره وعبادته ومعرفته

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الطلاق، آية: ١٢.

ومحبته ولوازم ذلك وما أفضى إليه وما عداه فهو مبغوض له مذموم عنده)[(١)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاه" وفي بيان عظم فضل ذكر الله تعالى قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جبل يقال: جُمْدان، فقال: "سيروا هذا جمدان، قد سبق المفردون" قالوا ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات"))[(٢)] قال النووي: (وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى وجاء في رواية ((هم الذين أُهْتروا في ذكر الله))[(٣)] أي: لهجوا به وقال ابن الأعرابي: يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي)[(٤)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ الله تَعَالَى))[(٥)] قال الطيبي: (قال الشيخ ابن عبدالسلام في كتاب القواعد: هذا الحديث مما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها، فإن الثواب يترتب على تفاوت في الرتب في الشرف. قال "الأشراف" لعل الخيرية والأرفعية في الذكر؛ لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة، ومن ملاقاة العدو، والمقاتلة معهم إنما هي وسائل ووسائط يتقرب العباد بها إلى الله، والذكر إنما هو المقصود الأسنى، والمطلوب الأعلى)[(٦)].

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٦٩ - ٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٣) انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، حديث رقم ٤٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٤.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/٣٢٤ - ٣٣٥.

وقال ابن حجر: (بأن المراد بالذكر الذي هو أفضل من الجهاد، الذكر الكامل الجامع بين ذكر اللسان وذكر القلب بالتفكر والاستحضار فالذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار لذلك وأفضلية الجهاد هي بالنسبة للذكر اللساني المجرد. ونقل عن ابن العربي أن وجه الجمع أنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه فليس عمله كاملاً، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية)[1].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[2] وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[3]. قال النووي: (قال القاضي عياض: وذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه...، والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه. وأما ذكر اللسان مجردًا فهو: أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم)[4]. وفي ذلك بيان على عظم فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا- من واجبات الداعية: طلب العلم وتعليمه:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "وعالمًا، أو متعلمًا" (فإن زاد العلم والثقافة أساس لابد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابات التساؤلات، وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك هو العدة التي بها يُعلِّم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادر على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه)[5]، (فلابد للداعية أن يوقن أن "العلم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٢/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠٧.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٩.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ٥٧.

أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[١].

من أجل ذلك (قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا العلم، وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم)[٢].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لرجل من أصحابه: يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق)[٣].

(وكان عمر بن عبدالعزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

يُرى مُستكينًا وهو للهوِ ماقتٌ ... به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجهُ علم عنِ الجهل كُلّه ... وما عالم شيئًا كَمنْ هُوَ جاهلُهُ
عبوس عن الجهال حين يراهم ... فليس له منهم خَدينٌ يُهَازِلُهْ
مُذَكّر ما يبقى من العيش آجلاً ... فيشغلُهُ عنْ عاجلِ العيش آجلُه)[٤]

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، ٨٩٣، وقال محققو الجامع: إسناده حسن.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/١٧ - ١٨.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١/٥٥٠، رقم ٩١٦.

الحديث رقم (١٣٨٧)

١٣٨٧ - وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يثمّن غاليا وقت، وجهد، وثواب طالب العلم، لأنه يجعله في سبيل الله، ومن ثَم تترجم الخطوات إلى حسنات، والنفقات إلى مكفرات، ويترجم جهده إلى أجر عظيم يثقل ميزان حسناته، والحديث جاء في جملة خبرية خالية من المؤكدات لأن المخاطب خالي الذهن منه، وهي من الأمور الغيبية التي لا يطّلع بها إلا نبي بوحي من ربه، وقد جاءت في ثوب الشرط الذي يربط نتيجة بمقدمة تتصل بها، و(من) اسم موصول متضمن معنى الشرط ينادي بكل عاقل لاغتنام الفرصة، وسلوك طريق العلم الذي يسعى به في سبيل الله، وليس هناك أفضل من أن يتقلب المؤمن في عادته، وعبادته في مرضاة الله، والجملة الاسمية (فهو في سبيل الله) جواب الشرط، واتصالها بالفاء لكونها جملة اسمية كما أنها تفيد الثبات، والدوام الذي يؤكد لزوم هذه الصفة ما لزم العلم، وقوله (حتى يرجع) يؤكد ذلك، ويشير إلى أن حركة طالب العلم مادام في طلبه صارت محسوبة على الله مشفوعة بالجزاء،وهو ترغيب في العلم الذي هو عمارة الدنيا، والآخرة.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

---

(١) برقم (٢٦٤٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه، انتهى. فيه أبو جعفر الرازي، قال ابن حبان في المجروحين (١٢٠/٢): كان ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إلا فيما وافق الثقات، ولا يجوز الاعتبار بروايته إلا فيما لم يخالف الثقات. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨).

١- فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى[١].

٢- اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر[٢].

٣- استحباب الرحلة في طلب العلم[٣].

٤- الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم الأمور السيئة[٤].

٥- الحسد قسمان حقيقي، ومجازي، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة والنصوص الصريحة، وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي عند غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما[٥].

٦- أن الغني إذا قام بشروط المال، وفعل فيه ما يرضي ربه عز وجل فهو أفضل من الفقير الذي لا يقدر على مثل حاله[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم وتعلمه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم وتعلمه:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٨/٧، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٩/١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٥/٦.

(٣) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦٠/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٦/١٦.

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٢/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/١.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٠/١.

حتى يرجع" وفي بيان ذلك قال ابن القيم: (وإنما جعل طلب العلم في سبيل الله لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه قال تعالى في سورة الفرقان ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1])[2].

فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضًا؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر وربما يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[3]، ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن، والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله، ولهذا قال معاذ رضي الله عنه: "عليكم بطلب العلم فإن تعلمه لله خشية ومدارسته عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد"، ولهذا قرن سبحانه بين الكتاب المنزّل والحديد الناصر كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[4]، فذكر الكتاب والحديد إذ بها قوام الدنيا كما قيل:

فَمَا هُوَ إلاّ الوَحيُ أَوحَدَ مُرهَفٍ ... يُقيمُ ظُباهُ أَخدَعَا كُلِّ مائلِ
فَهَذا شِفاءُ الداءِ مِن كُلِ عاقِلٍ ... وَهَذا دواءُ الداءِ مِن كُلِ جاهلِ

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٥١ - ٥٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧٠.

(٣) سورة التحريم، آية: ٩.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحجة يسمى سبيل الله، فسّر الصحابي رضي الله عنه قوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١)، بالأمراء والعلماء؛ فإنهم المجاهدون في سبيل الله هؤلاء بأيديهم وهؤلاء بألسنتهم، فطلب العلم وتعليمه من أعظم سبيل الله عز وجل، قال كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرايح في سبيل الله عز وجل. وجاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد. وقال سفيان بن عيينه: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل. وقال أبو الدرداء: من رأى الغد والرواح ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه (٢).

وقال ابن الضحاك: (أنا عبدالرزاق قال: سمعت سفيان يقول لرجل من العرب "ويحكم! اطلبوا العلم، فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون، اطلبوا العلم، فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة)(٣).

وفي بيان فضل طلب العلم وتعلمه (قال: زر بن حبيش: جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله وهو في المسجد متكيء على بردٍ له أحمر قال: قلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم قال: مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفُّ به الملائكة وتظلله بأجنحتها، فيركب بعضها بعضها حتى تعدو إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب، فما جئت تطلب؟ قال: قلت: يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة فأفتني على المسح على الخفين. وذكر الحديث)(٤)، وعن أبي العالية قال: (كنت آتي ابن عباس، وهو على سريره، وحوله قريش فيأخذ بيدي، فيجلسني معه على السرير، فتغامزني قريش، ففطن لهم ابن عباس، فقال: كذاك هذا العلم، يزيد الشريف شرفًا ويجلس المملوك على الأسرة)(٥).

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٧٠ - ٧١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، رقم ٢٧٤، وقال محققو الجامع صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٣٤٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ١٦٢، وقال محقق الجامع: حديث صحيح.

(٥) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ١/ ١٤٠ - ١٤١، وقال محقق الكتاب إسناده لا بأس به.

وقال أبو إسحاق: (وكان محمد بن عبدالرحمن الأوقص عُنُقُهُ داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زَجَّان - "والزج: الحديدة التي في أسفل الرمح"[١] - فقالت له أمه: يا بني لا تكون في قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك. قال: فَطَلَبَ العلم، قال: فَوُلِّي قضاء مكة عشرين سنة، قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرعَدُ حتى يقوم، قال: ومرت به امرأة يومًا، وهو يقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، قال: فقلت له: يابن أخٍ وأيُّ رقبة لك)[٢]، وفي ذلك بيان على فضل تعلم العلم في أنه يرفع صاحبه ويبلغه عز الزمان والمكان فضلاً عن شرف الآخرة ورضاء الرحمن.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من أهم الأساليب الدعوية الناجعة للنفس الإنسانية التي جبلت على حب السعادة والنفور من الضيق والعذاب ويقصد بهذا الأسلوب الهام حمل المدعو وتشويقه إلى فعل ما رغب فيه والثبات عليه)[٣]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في طلب العلم بأن من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع، فضلاً عن ترغيب الحق تبارك وتعالى في طلب العلم بقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ﴾[٤] فعلى الداعية أن يراعي استخدام الترغيب كأسلوب دعوي لما فيه من أثر عظيم في حمل المدعو على سرعة الامتثال لما رغب فيه).

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ز ج ج).

(٢) الفقيه والمتفقه ١/١٤١ - ١٤٢، وقال محقق الكتاب إسناده صحيح.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١١.

الحديث رقم (١٣٨٨)

١٣٨٨ - وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

منتهاه الجنة: المنتهى: الغاية والنهاية[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول بالبيان علاقة المؤمن بالعلم، وارتباطه به، وأنه يكون في نهم دائم للعلم لا يكتفي منه حتى يلقى الله، والحديث جاء في أسلوب النفي بـ(لن) الداخلة على الفعل المضارع المفيد للتجدد والاستمرار، وتعريف المؤمن بـ(ال) يشير إلى أنه الكامل في صفة الإيمان والتعبير عن العلم بالخير على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، وفائدة التعبير بالمجاز يزيد المخاطب ترغيبا في العلم بالتذكير بمآله، ، والتعبير بالشبع في جانب العلم على سبيل الاستعارة قال الطيبي: شبه استلذاذه بالمسموع بالتذاذه بالمطعوم، لأنه أرغب، وأشهى، وأكثر إتباعا لتحصيله، وحتى للتدريج في استماع الخير، والترقي في استلذاذه والعمل به إلى أن يوصله الجنة، ويبلغه إياها؛ لأن سماع الخير سبب العمل والعمل سبب دخول الجنة ظاهرا، ولما كان قوله يشبع فعلا مضارعا يكون فيه دلالة على الاستمرار تعلق به حتى، قال ابن الملقن: فيه أن من شبع فليس

---

(١) برقم (٢٦٨٦). هذا الحديث أورده ابن عدي في الكامل (٩٨١/٣) وقال: وعامة هذه الأحاديث التي أمليتها مما لا يتابع دراج عليه... وسائر أخبار دراج غير ما ذكرتُ من هذه الأحاديث يتابعه الناس عليها وأرجو إذا أخرجتَ دراجَ وبريتّه من هذه الأحاديث التي أنكرت عليه أن سائر أحاديثه لا بأس بها، ويقرب صورته ما قال عنه يحيى بن معين. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٨٥) من رواية ابن حبان.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٦٠.

بمؤمن وناهيك به منفرا من القناعة في العلم وسره ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[طه: ١١٤][١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستباق إلى الخيرات.

ثالثًا: من واجبات المدعو: علو الهمة في طلب الآخرة.

أولاً - من أساليب الدعوة: النفي:

النفي من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على نفي ما يريد نفيه من أحوال وأشياء، وينبغي ألا تكون في المدعو، وهذا ما ورد في الحديث من نفيه ﷺ بأن يرضى المؤمن ويقتنع بما أتي من طاعات حتى يبلغ الجنة. وذلك في قوله ﷺ "لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستباق إلى الخيرات:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "لن يشبع المؤمن من خير" قال ابن علان: (أي من كل مقرب إلى الله تعالى من سائر الطاعات وأشرفها)[٢] وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾[٣] قال السعدي: (والأمر بالاستباق إلى الخيرات، قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات فالسابقون أعلى الخلق درجة. والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وحج، وعمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر، ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب...، فقال

---

(١) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، حديث (٧٣٩٠) ص ١٣٥٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٧.

تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[١] ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام، والحج والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها)[٢].

ثالثًا - من واجبات المدعو: علو الهمة في طلب الآخرة:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "حتى يكون منتهاه الجنة" قال ابن علان: (أي لا ينتهي عن الخير حتى يموت فيدخل الجنة بما اكتسب في حياته من العمل الصالح، ولكونها تعليلية أي: عدم قناعته بيسير من الطاعة ليكون مآله الجنة فإنها تتفاوت منازلها بتفاوته)[٣]، وفي ذلك قال ابن القيم: (فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة)[٤]، وقال ابن الجوزي: (فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه؛ فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض - أي القرار من الأرض عند مقطع الجبل - غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن)[٥].

وقال الشوكاني: (وينبغي لمن كان صادق الرغبة، قوي الفهم، ثاقب النظر، عزيز النفس شهم الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة - ألا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد، وأرفع ما يستفاد؛ فإن النفوس الأبية، والهمم العلية لا ترضى بما دون الغاية في المطالب الدنيوية

---

(١) سورة النجم، آية: ٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

(٤) الفوائد ٢٥٤.

(٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٣٦.

من جاه، أو مال، أو رئاسة، أو صناعة، أو حرفة)[١].

ثم قال: (وإذا كان هذا شأنهم في الأمور الدنيوية التي هي سريعة الزوال، قريبة الاضمحلال، فكيف لا يكون ذلك من مطالب المتوجهين إلى ما هو أشرف مطلبًا، وأعظم مكسبًا، وأرفع مرادًا، وأجل خطرًا، وأعظم قدرًا، وأعود نفعًا، وأتم فائدة؟ وهي المطالب الدينية)[٢]. ولا ريب أنها أعلى المطالب وأشرف المكاسب

ولذلك "لما كان مجد الآخرة أعظم المجد، كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمّ الأكبر للمؤمنين الصادقين ذوي الهمم العلية، والنفوس الكبيرة الزكية.

أما الدنيا فإنها في نظرهم - مهما بلغت أمجادها - قليلة القيمة في جنب الآخرة؛ لذلك فهم يحاولون أن يبتغوا فيما آتاهم الله الدار الآخرة، مع أنهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا" [٣].

وقد قيل للعتابي: فلان بعيد الهمة، قال: إذًا ليس له غاية دون الجنة [٤].

(فعلو الهمة خلق رفيع، وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وعلو الهمة من الأسس الأخلاقية الفاضلة، وإليه يرجع مجموعه من الظواهر الخلقية، كالجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا وكالطموح إلى المعالي)[٥]، وخاصة الفوز بالجنة في الآخرة، والتي هي غاية كل مؤمن، ورغبة كل مسلم، فهي أعلى المعالي وأكرم الأماني وأشرف الغايات وأحلاها.

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب، للشوكاني، ص ١٢٧، نقلاً عن كتاب الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١١١.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني ٤٧٥/٢.

(٤) عيون الأخبار، ابن قتيبة ٢٣٣/١.

(٥) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٧.

الحديث رقم (١٣٨٩)

١٣٨٩ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أدنَاكُمْ)) ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ[١] حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي[٢] النَّاسِ الخَيْرَ)). رواه الترمذيُّ[٣]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

أدناكم: أقلكم[٤].

الحوت: السمك[٥].

يصلون: يدعون[٦].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ للفارق بين العالم والعابد بالفارق بينه، وبين أدنى فرد في الأمة لبيان مقدار الفضل بين من يعبد الله تعالى على علم، وبين من يعبد الله على جهل بصفات الله، وأسمائه وما يتعلق بهذه المعرفة من أمور كما يشير هذا التعبير إلى أن الهداية، في جانب حامل العلم، لأن الرسول ﷺ هو مصدر الهداية، كما يشير هذا

---

(١) لفظ الترمذي: (والأرضين).

(٢) لفظ الترمذي: (معلِّم).

(٣) برقم (٢٦٨٥). وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤٩): وفي نسخة: حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٠).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (د ن و).

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ح و ت).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ل و).

التشبيه إلى أن العالم آخذ بحظ من النبوة لأن العلماء ورثة الأنبياء، كما يشير إلى أن أكبر العباد أصغر من أقل العلماء، ويقرر أن هداية الناس مسئولية العالم، ثم إن الرسول ﷺ حشد له أهل السماوات، والأرض يصلون عليه في قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ) وصلاة الله على العبد رحمة، ومغفرة، وعطايا يعلمها الله، وصلاة الملائكة دعاء، واستغفار، وكذلك صلاة الناس، والدواب، والحشرات كل هذا الحشد الدال على بالغ الحفاوة يشير بل يقرر من قريب عظمة عمل العالم الساعي في طريق العلم، والتعليم؛ لأنها مهنة الأنبياء، واختيار الفضلاء، وعليها تقوم عبادة الله على الوجه الصحيح، وهي المهمة السامية التي خلق الإنسان من أجلها، وهذا التشبيه ترغيب بالغ الدقة، والإصابة، والتأثير في السامع في أن يكون من أهل العلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل العالم على العابد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على تعليم العلم وبيان فضله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل العالم على العابد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"، قال ابن علان: (قوله ﷺ: "فضل العالم" أي: المقتصر على فرائض العبادات ويصرف باقي أوقاته في العلم "على العابد" أي: العارف بما يجب عليه تعلمه من الديانات فقط، ويصرف ما زاد عليه في التعبد "كفضلي على أدناكم"، فيه عظيم شرف العلماء قال الزملكاني: ... والذي استقر من ذلك أن العالم المستحق للتفصيل بالعلم هو الذي تعلم العلم النافع في الدنيا والآخرة، وقام بحق علمه من عمل أو نفع أو هداية، أو غير ذلك من حقوق العلم النافع؛ فذلك هو العالم المفضل)[1].

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

وفي بيان سبب فضل العالم على العابد ذلك قال ابن القيم: (إن الشيطان يضع البدعة فيبصرها العالم وينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه لها ولا يعرفها...، فإن العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه ويهدم ما يبينه فكل ما أراد إحياء بدعة وإماتة سنة حال العالم بينه وبين ذلك فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراني الأمة ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة وأما العابد فغايته أن يجاهد ليسلم منه في خاصة نفسه وهيهات له ذلك)[١]، وزاد المباركفوري في بيان فضل العالم على العابد فقال: (إن فضل العالم بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية على العابد المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر من العلوم "كفضلي على أدناكم" أي نسبة شرف العالم إلى شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى شرف أدنى الصحابة، قال القاري: فيه مبالغة لا تخفى فإنه لو قال: كفضلي على أعلاكم لكفى فضلاً وشرفًا)[٢]، وفي ذلك بيان على عظم فضل العالم على العابد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على تعليم العلم وبيان فضله:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ: "... إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير، وفي ذلك قال ابن القيم: (لما كان تعليمه للناس الخير سببًا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سببًا لنجاته وسعادته وفلاحه، وأيضًا فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرًا لدين الرب وأحكامه ومعرفًا له بأسمائه وصفاته جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهًا به وتشريفًا له وإظهارًا للثناء عليه بين أهل السماء والأرض)[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٩/١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤١/٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٣/١.

وقد بين الإمام أحمد ابن حنبل فضل تعليم العلم فقال: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترةٍ من الرسل بقايًا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد المدعوين وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة والترغيب من الأساليب الدعوية الناجحة للنفس الإنسانية التي جُبلت على حب السعادة والفلاح)[2]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في أخذ العلم وتعليمه لما في ذلك من فضل عظيم وخير عميم في الدنيا والآخرة.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ١٩٢.

الحديث رقم (١٣٩٠)

١٣٩٠ - وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا (بِمَا يَصْنَعُ) [1]، وَإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، وَإنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَإنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

يبتغي: يطلب[3].

الحيتان: جمع الحوت، جمع كوكب، وهي الأجرام والنجوم التي تدور في السماء[4].

الكواكب: باقي الكواكب[5].

بحظ: نصيب من الكمال[6].

وافر: كثير[7].

الشرح الأدبي

سبق الحديث عن كون سلوك طريق العلم يكون سلوكا لطريق الجنة لأن العلم يهدي إلى معرفة الله، وعبادته التي توجب دخول الجنة وقد ورد هذا المعنى في أسلوب

---

(١) هذه الزيادة عند البيهقي في الآداب (١١٨٧)، وهي عند المنذري في ترغيبه، تبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٦).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب غ ي).

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ح و ت).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ك ب).

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٦١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ف ر).

الشرط (مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ) وتنكير.

(علما) ليتناول أنواع العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل، والكثير قوله (سهل الله) له أي في الآخرة، أو المراد منه وفقه الله للأعمال الصالحة فيوصله بها إلى الجنة، أو سهل عليه ما يزيد به علمه؛ لأنه أيضا من طرق الجنة بل أقربها، وقول الرسول ﷺ: (وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ) كناية عن الرحمة، والمحبة، والرضا لعظم منزلته، وفضيلة عمله، والتعبير بالأجنحة فيه حنو، ومودة، ورحمة كما يفعل الطائر ببسط جناحه فوق صغاره يحميهم الحر، والقرَّ، وقوله (وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) كثافة المؤكدات في الجملة لعظمة الخبر، ولبيان أهميته وصرف المخاطبين الغافلين عن فضله إلى العناية به، وقوله (حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ) ينفي وهم المبالغة، ويؤكد التفاف كل هذا الحشد في الكون للاستغفار لهذا العالم، والتشبيه في قوله (وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ) يبين مدى التفاوت بين المنزلتين مع ما في التشبيه بالقمر من الإشارة إلى الضياء الذي يهدي السائرين، ويضيء للمقيمين، ويشير في جانب المشبه، وهو العالم إلى النور الذي يستفيده الناس من علمه، ويهتدون به، فنفعه عام، ونفع العابد مختص بنفسه، هذا إن سلم من كيد الشيطان، ومبطلات العمل الخفية، وقوله (وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ) هو منتهى الشرف للعلماء لأنهم خلفوا الرسل في علمهم، وفي تعليمهم الخير للناس، وهذا الحديث من أعظم الأحاديث التي تبين فضل العلم، والعلماء، وأهمية وجود العالم، وترغب في طلب العلم، ولو أن الأمة عملت بمثل هذا الحديث لكانت لها الريادة في جميع المجالات الدنيوية، والدينية كما كان حال من فعلوا من الجيل الراشد رضي الله عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل طالب العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم:

إن طلب العلم (هو دأب عباد الله المتقين، ومأدبه حزبه المفلحين، وغاية أوليائه الصالحين، وما ذلك إلا لما عرفوا له من اللذة والفضل في هذه الحياة، ومن الأجر والذخر يوم يحشر العلماء في زمرة الأنبياء، ويفوزون بأعلى الجنان لأنهم أئمة الأولياء وكفى بطلب العلم فضلاً وبأهله شرفًا ونبلاً أنهم ورثة الرسل الكرام والأنبياء العظام والأئمة الأعلام عبر مرور السنين والشهور والأيام)(١). لذا حث النبي ﷺ على طلب العلم كما ورد في نص الحديث من قوله "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة" قال القرطبي: (أي: من مشى إلى تحصيل علم شرعيٍّ قاصدًا به وجه الله تعالى جازاه الله عليه بأن يُوصله إلى الجنة مسلمًا مكرَّمًا. ويلتمس (٢): معناه يطلب، كما قال: ((الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ))(٣) وهو حضٌّ وترغيب في الرحلة في طلب العلم، والاجتهاد في تحصيله)(٤).

وليس أدل على أهمية ذلك من أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن صفيه وكليمه الذي كتب له التوراة بيده وكلمه منه إليه أنه رحل إلى رجل عالم يتعلم منه ويزداد علمًا إلى علمه فقال ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾(٥) حرصًا منه على لقاء هذا العالم وعلى التعلم منه فلما لقيه سلك معه مسلك المتعلم مع معلمه وقال له ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(٦) فبدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته وأنه لا يتبعه إلا بإذنه وقال ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ

(١) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي، ٢٢٧.

(٢) لفظ رواية مسلم ٢٦٩٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٤٩، ومسلم ١٤٢٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٤ - ٦٨٥.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦٠.

(٦) سورة الكهف، آية: ٦٦.

رُشْدًا﴾[1] فلم يجيء ممتحنًا ولا متعنتًا وإنما جاء متعلمًا مستزيدًا علمًا إلى علمه. وكفى بهذا فضلاً وشرفًا للعلم فإن نبي الله وكليمه سافر ورحل حتى لقي النصب من سفره)[2]، وفي ذلك خير دليل في للحث على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم

هذا ما أشار إليه نص الحديث وفي بيان ذلك قال ابن القيم في قوله ﷺ "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة... إلخ الحديث" أي: (أن الطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه)[3] وقال ابن حجر: (وقوله ﷺ "أي في الآخرة، أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة)[4].

قال القرطبي: (وهذا حديث عظيم يدلُّ على أن طلبَ العلم أفضل الأعمال، وأنه لا يبلغ أحد رتبة العلماء، وان رتبتهم ثانية عن رتبة الأنبياء.

وقوله: "إن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم" قيل: معناه تخضع له وتعظمه، وقيل: تبسطُها بالدُّعاء؛ لأن جناح الطائر يده)[5].

وقال ابن القيم: (ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا له وتوقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم تناسب فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم...، فهم يستغفرون لمسيئهم

---

(١) سورة الكهف، آية: ٦٦.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزيه ١/٥٥ - ٥٦.

(٣) المرجع السابق ١/٦٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٥.

ويثنون على مؤمنهم... قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(1).

فأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه حتى تضع أجنحتها له رضًا ومحبة وتعظيمًا. وقال أبو حاتم الرازي سمعت ابن أبي أويس يقول سمعت مالك بن أنس يقول معنى قول رسول الله ﷺ تضع أجنحتها يعني تبسطها بالدعاء لطالب العلم بدلاً من الأيدي وقال أحمد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة له حدثنا زكريا بن عبدالرحمن البصري. قال سمعت أحمد بن شعيب يقول كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال والله لأطرقن غدًا نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة ففعل ومشى في النعلين فجفت رجلاه جميعًا ووقعت فيهما الأكلة. وقال الطبراني سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي. قال كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن منهم في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط (وفي السنن والمسانيد)(2) من حديث صفوان بن عسال. قال قلت يا رسول الله إني جئت أطلب العلم قال مرحبًا بطالب العلم إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضهم بعضًا حتى تبلغ

---

(1) سورة غافر، آية: ٧.

(2) مسند الإمام أحمد ٢٣٩/٤، رقم ١٨٠٨٩، وقال محققو المسند إسناده حسن ٩/٣٠، ابن حبان ١١٠٠، وقال محققه: الصحيح إسناده حسن، وأخرجه الطبراني في الكبير ٧٣٤٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٦٢، وقال محققه في الجامع: حديث صحيح.

السماء الدنيا من حبهم لما يطلب. وذكر حديث المسح على الخفين.

قال ابن عبدالبر: هو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع ومثله لا يقال بالرأي ففي هذا الحديث حف الملائكة له بأجنحتها إلى السماء وفي الأول وضعها أجنحتها له فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له وحبها إياه وحياطته وحفظه فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفًا وفضلاً)[1].

قال القرطبي: (وقوله ﷺ "وإن العالم ليستغفر له من السموات ومن في الأرض"، يعني بـ"من" هنا: من يعقل، وما لا يعقل غير أنه غلّب عليه من يعقل، بدليل أن هذا الكلام قد جاء في غير كتاب أبي داود، فقال: (حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في جوف الماء)[2]، وعلى هذا المعنى يدلُّ - من حديث أبي داود هذا - عطف الحيتان بالواو على من في السموات، ومن في الأرض، فإنه يُفيد أن من يعقل، وما لا يعقل يستغفر العالم؛ فأما استغفارُ من يعقل فواضح؛ فإنه دعاءٌ له بالمغفرة، وأما استغفارُ ما لا يعقل، فهو - والله أعلم - أن الله يغفر له، ويأجره بعدد كل شيء لحقه أثر من علم العالم. وبيان ذلك: أن العالم يبين حكم الله تعالى في السماوات وفي الأرض، وفي كل ما فيهما، وما بينهما، فيغفر له ذنبه، ويعظم له أجره بحسب ذلك، ويحتمل أن يكون ذلك على جهة الإغياء، والأول أولى، والله تعالى أعلم)[3].

وقد بين الخطابي: (أن الله سبحانه قد قيض للحيتان وغيرها من أنواع الحيوان العلم على ألسنة العلماء أنواعًا من المنافع والمصالح والإرفاق، فهم الذين بينوا الحكم فيها فيما يحل ويحرم فيها، وأرشدوا إلى المصلحة في بابها، وأوصوا بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها. فألهمها الله الاستغفار للعلماء، مجازاة على حسن صنيعهم، بها

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٣/١ - ٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٨).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٨٥/٦ - ٦٨٦.

وشفقتهم عليها)[١].

وكان من الأمور أشار إليها الحديث في بيان فضل طلب العلم قوله ﷺ "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" قال ابن القيم: (وفي ذلك تشبه مطابق لحال القمر والكواكب فإن القمر يضيء الآفاق ويمتد نوره في أقطار العالم وهذا حال العالم وأما الكواكب فنوره لا يجاوز نفسه أو ما قرب منه وهذا حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره وإن جاوز نور عبادته غيره فإنما يجاوزه غير بعيد كما يجاوز ضوء الكوكب له مجاوزة يسيرة)[٢]

وبين القرطبي أن (هذه المفاضلة لا تصحُّ حتى يكون كل واحد منهما قائمًا بما وجب عليه من العلم والعمل؛ فإن العابد لو ترك شيئًا من الواجبات، أو عملها على جهل لم يستحق اسم العابد، ولا تصحُّ له عبادةٌ، والعالم لو ترك شيئًا من الواجبات لكان مذمومًا، ولم يستحق اسم العالم، فإذًا محلُّ التفضيل: إنما هو في النوافل، فالعابد يستعمل أزمانه في النوافل من الصلاة، والصوم، والذكر وغير ذلك، والعالمُ يستعمل أزمانه في طلب العلم وحفظه، وتقييده، وتعليمه، فهذا هو الذي شبَّهه بالبدر؛ لأنه قد كَمُلَ في نفسه، واستضاء به كل شيء في العالم من حيث أنَّ علمه تعدَّى لغيره، وليس كذلك العابد؛ فإن غايته أن ينتفع في نفسه، ولذلك شبهه بالكوكب الذي غايته أن يظهر نفسه)[٣].

وقد أكد نص الحديث في نهايته على أعظم منقبة لأهل العلم، وهي قوله ﷺ "إن العلماء ورثة الأنبياء" قال ابن القيم: (هذا من أعظم المناقب لأهل العلم فإن الأنبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما

---

(١) معالم السنن ٢٤٤/٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٥/١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٨٦/٦.

أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم)[١].

قال القرطبي: (وإنما خصَّ العلماء بالوراثة، وإن كان العُبَّاد -أيضًا- قد ورثوا عنه العلم بما صاروا به عبادًا، لأن العلماء هم الذين نابوا عن النبي ﷺ في حملهم العلم عنه، وتبليغهم إيَّاه لأمته، وإرشادهم لهم، وهدايتهم. وبالجملة فالعلماء: هم العالمون بمصالح الأمَّة بعده، الذابُّون عن سنته، الحافظون لشريعته، فهؤلاء الأحقُّ بالوراثة، والأولى بالنيابة والخلافة، وأما العباد فلم يطلق عليهم اسم الوراثة لقصور نفعهم، ويسير حظهم.

وقوله: "إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا" يعني: أنهم صلوات الله عليهم كان الغالبُ عليهم الزهد، فلا يتركون ما يُورث عنهم، ومن ترك منهم شيئًا، يصح أن يورث عنه تصدَّق قبل موته، كما فعل نبينا ﷺ حين قال: ((لا نورث، ما تركنا صدقة))[٢])[٣].

وقد بين ابن القيم: (أن هذا من كمال الأنبياء وعظم نصحهم للأمم وتمام نعمة الله عليهم وعلى أممهم أن أزاح جميع العلل وحسم جميع المواد التي توهم بعض النفوس أن الأنبياء من وجنس الملوك الذين يريدون الدنيا وملكها فحماهم الله سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية. ثم لما كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدنيا لولده من بعده ويسعى ويتعب ويحرم نفسه لولده سد هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله وقطع هذا الوهم الذي عساه أن يخالط كثيرًا من النفوس التي تقول فلعله إن لم يطلب الدنيا لنفسه فهو يحصلها لولده فقال ﷺ: ((نَحْنُ مُعَاشِرِ الأَنْبِيَاءِ لا نُوَرثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ))[٤].

فلم تورث الأنبياء دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم. وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٦/١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٥، ومسلم ١٧٥٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٨٦/٦ - ٦٨٧.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤٦٣/٢، رقم ٩٩٧٢ بلفظ: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركت بعد مؤونة عاملي، ونفقة نسائي صدقة))، قال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٧/١٦.

﴿سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[(١)] فهو ميراث العلم والنبوة لا غير. وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم وهذا لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرة سوى سليمان فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصًا به. وأيضًا فإن كلام الله يصان عن الأخبار بمثل هذا فإنه بمنزلة أن يقال مات فلان وورثه ابنه. ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه وليس في الأخبار بمثل هذا فائدة. وأيضًا فإن ما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾[(٢)] وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان وما خصه الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه أعلى المواهب وهو العلم والنبوة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[(٣)].

وكذلك قول زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾[(٤)] فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله فيسأل الله العظيم ولدًا يمنعهم ميراثه ويكون أحق به منهم وقد نزه الله أنبياءه ورسله هذا وأمثاله فبعدًا لمن حرف كتاب الله ورد على رسوله كلامه ونسب الأنبياء إلى ما هم برآء منزهون عنه والحمد لله على توفيقه وهدايته)[(٥)].

(ويذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بالسوق فوجدهم في تجاراتهم وبيوعاتهم فقال أنتم ههنا فيما أنتم فيه وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في مسجده فقاموا سراعًا إلى

---

(١) سورة النمل، آية: ١٦.

(٢) سورة النمل، آية: ١٥.

(٣) سورة النمل، آية: ١٦.

(٤) سورة مريم، آية: ٥.

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٦٧.

المسجد فلم يجدوا فيه إلا القرآن والذكر ومجالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أبا هريرة. فقال هذا ميراث محمد ﷺ يقسم بين ورثته وليس بمواريثكم ودنياكم أو كما قال. وقوله فمن أخذه أخذ بحظ وافر أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبد ودام نفعه له وليس هذا إلا حظه من العلم والدين فهو الحظ الدائم النافع الذي إذا انقطعت الحظوظ لأربابها فهو موصول له أبد الآبدين وذلك لأنه موصول بالحي الذي لا يموت فلذلك لا ينقطع ولا يفوت وسائر الحظوظ تعدم وتتلاشى بتلاشي متعلقاتها كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(١).

فإن الغاية لما كانت منقطعة زائلة تبعتها أعمالهم فانقطعت عنهم أحوج ما يكون العامل إلى عمله وهذه هي المصيبة التي لا تجبر عياذًا بالله واستعانة به وافتقارًا وتوكلاً عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقوله موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له. وأيضًا فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم فساد لنظام العالم ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفًا عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده وتأمل إذا كان في الوجود رجل قد فاق العالم في الغنى والكرم وحاجتهم إلى ما عنده شديدة وهو محسن إليهم بكل ممكن ثم مات وانقطعت عنهم تلك المادة فموت العالم أعظم مصيبة من موت مثل هذا بكثير ومثل هذا يموت بموته أمم وخلائق كما قيل:

تعلم ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر ... يموت بموته بشر كثير

وقال آخر:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)(٢)

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٦٧ - ٦٨.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(المرء يحتاج على ما يدفعه للقيام بما طلب منه على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها ودوره في الترغيب بما يفيد في حمل المدعو على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[١]، (وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في طلب العلم وتحصيله، حيث قال: "ومن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة.... إلخ الحديث"، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث من الترغيب في طلب العلم ما لا يخفى على أحد؛ فينبغي للإنسان أن ينتهز الفرصة، ويبادر بطلب العلم قبل أن يأتيه ما يشغله عن ذلك)[٢].

وكفى بطلب العلم شرفًا وترغيبًا في تحصيله أن الله عز وجل أمر نبيه أن يسأله المزيد منه) [٣] فقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٤] (أي: زدني منك علمًا قال ابن عُيينة: ولم يزل ﷺ في زيادة من العلم، حتى توفاه الله عز وجل)[٥]، وكان ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وعَلِّمْنِي ما يَنْفَعُنِي وزِدْنِي عِلْمًا))[٦].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣، وهداية المرشدين، علي محفوظ، ١٩٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٨٠.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٥٠.

(٤) سورة طه، آية: ١١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٩/٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٣).

الحديث رقم (١٣٩١)

١٣٩١ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ، يقول: ((نَضَّرَ اللهُ امْرًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

نضر الله امرًا: أي نعمه، من النضارة وهي في الأصل: حسن الوجه والبريق، والمراد حَسَّن خلقه وقدره[٢].

أوعى: أكثر حفظًا وفهمًا[٣].

الشرح الأدبي

يدعو الرسول ﷺ أمته إلى نشر العلم، وقد رغبهم في ذلك عن طريق الدعاء بصيغة الماضي في قوله ﷺ (نضر الله امرأ) والذي يشعر بتأكيد، وقوع الطلب، وتحققه كما لو كان قد حصل المطلوب عند الدعاء، وذلك ادعى لدقة التبليغ، والحرص عليه والحكم هنا ممتد إلى ما يحدث مستقبلا، ولو كان الفعل (نضر) هنا إخبارا لما كان له من الأثر كما له في الإنشاء في مقام الترغيب، والحث، والتحضيض عن طريق الدعاء، ونسبة الفعل (نضر) لله يعطي الفعل بُعدا إيحائيا؛ لأن فعل لا يشبه فعل خلقه، وتنكير كلمة (امرأ) يفيد عموما يدخل الجميع تحت الحكم، وتنكير شيئا للتقليل فيشمل الدعاء من قام بتبليغ ما قل، أو كثر، وقوله (فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ)

---

(١) برقم (٢٦٥٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ض ر).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ع ى).

فيه إشارة إلى أمانة النقل دون تزيد، أو انتقاص، لأنه ينقل للناس دينهم (فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ) يشير إلى تفاوت العقول في الفهم عن النبي ﷺ فيستنبط هذا ما لا يستنبط ذلك، ويفهم هذا ما لا يفهمه هذا، وهو فضل الله قسمه بين الناس بفضله.

فقه الحديث

قال النووي: (اعلم أن التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين، وبه يؤمن إمحاق العلم، فهو من أهمّ أمور الدين وأعظم العبادات، وآكد فروض الكفايات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾[2] وفي الصحيح من طرق أن النبي ﷺ قال: ((ليبلغ الشاهد منهكم الغائب))[3] والأحاديث بمعناه كثيرة، والإجماع منعقد عليه)[4].

وقال ابن العربي: (الصحيح عندي أنه إن كان هناك من يبلغ اكتفى به، وإن تعيّن عليه لزمه)[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم وبيان فضله.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تبليغ العلم والأمانة في نقله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فائدة تبليغ العلم.

أولاً – من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم وبيان فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ "نضر الله امرًا سمع منا شيئًا فبلغه –

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ٧٢/١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٨/٢ .

(٥) أحكام القرآن ٤٩/١.

وفي رواية الترمذي سمع منا حديثًا-"، قال الطيبي: (والمعنى خصه تعالى بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا وفي الآخرة، حتى يرى عليه رونق الرخاء ورفيق النعمة. وإنما خص حافظ سنته ومبلغها بهذا الدعاء؛ لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه في دعائه له بما يناسب حاله في المعاملة...)[١].

وقال ابن القيم: (إن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وبلغه بالنضرة وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه ... وقال: ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفًا فإن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه وهذه هي مراتب العلم أولها وثانيها سماعه وعقله فإذا سمعه وعاه بقلبه أي عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب ولهذا كان الوعي والعقل قدرًا زائدًا على مجرد إدراك المعلوم. المرتبة الثالثة تعامده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. المرتبة الرابعة تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده وهو بثه في الأمة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والنضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[٢] فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه. كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[٣] والمقصود أن هذه

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/ ٢٨٣.

(٢) سورة الإنسان، آية: ١١.

(٣) سورة المطففين، آية: ٢٤.

النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وبلغها فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه)[١].

ثانيًا - من واجبات الداعية: تبليغ العلم والأمانة في نقله:

هذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "فبلغه كما سمعه". قال د. الحسيني هاشم: (فيه الحث على تبلغ الدين بلا تحريف والدعاء لمن نشره على وجهه الصحيح)[٢].

(وقد أمر النبي ﷺ بتبليغ العلم عنه فقال: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))[٣] قال ابن القيم: فأمر ﷺ بالتبليغ عنه لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ وله ﷺ أجر من بلغ عنه وأجر من قبل ذلك البلاغ وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب فله من الأجر بعدد كل مبلغ وكل مهتد بذلك البلاغ سوى ما له من أجر عمله المختص به فكل من هدى واهتدى بتبليغه فله أجره لأنه هو الداعي إليه ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ لكفى به فضلاً. وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه ويبذل جهده وطاقته فيها، ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه وهو نائبه وخليفته في أمته وكفى بهذا فضلاً وشرفًا للعلم وأهله)[٤].

وقد أكد النبي ﷺ في نص حديث الباب على عظم وأهمية الأمانة في نقل العلم عنه، فقال ﷺ "فبلغه كما سمعه" قال المباركفوري، أي: (من غير زيادة ولا نقصان)[٥]، وقد توعد النبي ﷺ من يخالف ذلك بأشد العذاب وسوء العقاب، فقال: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النار))[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧١.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٦٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧٣.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٢٦.

(٦) اخرجه البخاري ١٠٧.

قال ابن حجر: (قوله "فليتبوأ" أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنًا، وهو أمر بمعنى الخبر أيضًا، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء على فاعل ذلك أي بوأه الله ذلك. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى من كذب فليأمر نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا، قال: وأولها أولاها، فقد رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر بلفظ ((بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي النَّار))[1] قال الطيبي: فيه إشارة إلى معنى القصد في الذنب وجزائه، أي كما أنه قصد في الكذب التعمد فليقصد بجزائه التبوء)[2].

فعلى الداعية أن يتثبت في حديثه عن النبي ﷺ، فلا يبلِّغ عنه إلا صدقًا.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فائدة تبليغ العلم:

هذا ما يستفاد من قوله ﷺ "فرب مُبلغ أوعى من سامع"، قال المباركفوري: ("فرب" للتقليل وقد ترد للتكثير "مبلغ" بفتح اللام و"أوعى" نعت له والذي يتعلق به "رب" محذوف وتقديره يوجد أن يكون، ويجوز على مذهب الكوفيين في أن "رب" اسم أن تكون هي مبتدأ وأوعى الخبر فلا حذف ولا تقدير والمراد رب مُبلَّغ عني أوعى، أي أفهم لما أقول من سامع مني)[3] وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[4].

قال ابن القيم: (وقوله ﷺ رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه تنبيه على فائدة التبليغ وإن المبلَّغ قد يكون أفهم من المبلِّغ فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلِّغ أو يكون المعنى أن المبلَّغ قد يكون أفقه من المبلِّغ فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها واستنبط فقهها وعلم المراد منها)[5]، وفي ذلك قال ابن عثيمين: (قد تجد

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٢، رقم ١١٣٥٠ بلفظ: ((إن الذي يكذب عليَّ يبنى له بيت في النار))، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٨/٣٦٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٤٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٢٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٨).

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧٢.

مثلاً من العلماء من هو راوية يروي الحديث يحفظه ويؤديه لكنه لا يعرف معناه فيبلغه إلى شخص آخر من العلماء يعرف المعنى ويفهمه ويستنتج من أحاديث الرسول ﷺ أحكامًا كثيرة فينفع الناس، وقد مثل ﷺ الأول كمثل الأرض التي أمسكت الماء فروِي الناس وارتووا لكنها لا تنبت، وأما الأرض الرياض التي أنبتت، فهم الفقهاء الذين عرفوا الأحاديث وفقهوها واستنتجوا منها الأحكام الشرعية)[1]، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَلِ الغَيثِ الكثيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْتُ به))[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٨٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

الحديث رقم (١٣٩٢)

١٣٩٢ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ألجم يوم القيامة بلجام من نار: اللجام: الحديدة في فم الفرس ثم سموها مع ما يتصل بها من سيور وآلة لجامًا. ويراد بهذا: المسك عن الكلام بأنه ممثل بمن ألجم نفسه بلجام[2].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة وردت لبيان فضل العلم، والعلماء، والترغيب في العلم، أما هذا الحديث فإنه جاء ترهيبا من كتمان العلم؛ لأنه ينطوي على إضلال الناس، بتركهم في براثن الجهل، وقد جاءت جملة الترهيب، وفيها تناسب بين الألفاظ، والمعاني مع تناسب الجزاء مع العمل فاللجام للفم مقابل الكتمان، وهو أيضا بالفم، وبناء الفعل (ألجم) للمفعول يذهب بالعقل في تصوره كل مذهب، وبين ألجم، واللجام جناس يؤكد نوع العذاب الذي يتناسب مع نوع العمل، وهذا الترهيب بهذا التكوين، له بُعد نفسي يذكِّر العالم إذا فكر في إغلاق فمه لكتمان العلم بأنه يغلقه على لجام من النار الأمر الذي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٥)، وقال الحاكم (١٠٢/١): هذا إسناد صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين، وليس له علة. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ج م).

يجعله يبذل العلم، والنصيحة لكل من احتاجها، وتقييد اللجام بالظرف (يوم) المضاف للقيامة يزيد الموقف هولا، ويعطي الفعل (ألجم) أبعادا إيحائية تتناسب مع طبيعة اليوم، وهوله، ثم إن الجار، والمجرور (من نار)المتعلق بالفعل (ألجم) يشير إلى صعوبة هذا اللجام الذي يشتعل نارا لا تنطفيء داخل فم الكاتم.

فقه الحديث

قال ابن العربي: (إن العالم إذا قصد الكتمان عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أن معه غيره وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1] ولحديث الباب)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من كتمان العلم.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من كتمان العلم:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "من سئل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار" قال صاحب عون المعبود في بيانه قوله ﷺ ("ألجمه الله" أي: أدخل الله في فمه لجامًا (بلجام من نار): مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت)[3]، وقال الخطابي: (المسلك عن الكلام مُمَثَّلٌ بمن ألجم نفسه، كما يقال التقيُّ ملجَم.

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٢) احكام القرآن ٤٩/١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٨١/٢ .

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ١٥٦٤.

وكقول الناس: كلّم فلان فلانًا فاحتجّ عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته. والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار.

وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[١].

قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني. فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يُمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا للوعيد والعقوبة وليس الأمر كذلك في نوافل العلم الذي لا ضرورة للناس إلى معرفتها)[٢]، وقد توعد الحق تبارك وتعالى لمن يكتم العلم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[٣] قال ابن كثير (هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدي النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله - تعالى - لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله)[٤]، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول (لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت)[٥] يريد الآيتين سالفتا الذكر في سورة البقرة، وفي ذلك بيان على الترهيب والتحذير من كتم العلم.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٢) معالم السنن ٢٥١/٥ - ٢٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٩ - ١٦٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٢/١.

(٥) أخرجه البخاري، ١١٨.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: نشر العلم:

هذا ما يستفاد من عموم الحديث في قوله ﷺ "من سئل عن علم فكتمه... إلخ"، حيث رهّب من كتمان العلم، وفي ذلك دعوة إلى نشر العلم وتعليمه للناس، قال د. الحسيني هاشم: (فيه عظم وعيد كاتم العلم، وتقييد العلم الفاضل النافع في الآخرة بما نشره صاحبه ولم يبخل به على الناس) [١].

قال ابن عثيمين: (نشر العلم من زكاته فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دومًا وأقل كلفة ومؤنة، أبقى دومًا؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيال من الناس، وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قيل يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفًّا شددت)[٢].

وفي ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال ((مَثَلُ الذي يتعلَّمُ العِلمَ ولا يتحَدثُ بهِ كمثَلِ الذي يَكنُزُ الذهب ولا يُنْفِقُ منهُ))[٣]، (ومن المعلوم الذي لا ينكره عاقل أن الناس في زمننا هذا قد فشا فيهم الجهل بنوعيه البسيط والمركب سواء كانوا من أهل المدن أم من أهل البوادي والقرى...، ونظرًا لحال الناس في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه وسائل الزيغ والانحراف عن طريق الحق المبين وهدي رب العالمين، فإنه يجب على كل طالب علم أن يجند نفسه ويبذل جهده في سبيل إيصال الخير والهدى والنور إلى البشرية كلها لتحيى بعد موتها وتستيقظ من غفلتها، وترشد بعد جهلها وضلالها)[٤]، وهذا لا يكون إلا بنشر العلم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(وأسلوب الترهيب أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦٦٦.

(٢) كتاب العلم ٢٤٦.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، رقم ٧٧٤، وقال محققه: إسناده حسن.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي، ٢٣٠ - ٢٣١.

المدعو...، وذلك ببيان ما ورد من وعيد تقشعر منه الأبدان، حيث جهنم ولهيبها وأنواع العذاب فيها جزاء وفاقا)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترهيبه ﷺ لمن يكتم العلم وذلك ببيان أن عاقبته هي إلجامه يوم القيامة بلجام من نار.

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٤٤٨.

الحديث رقم (١٣٩٣)

١٣٩٣- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يبتغي: يطلب[2].

عرضًا: العرض: متاع الدنيا وحطامها[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور حول الإخلاص في العلم، والذي يحقق الغاية منه في الدنيا ببذله لكل من يحتاج إليه، وفي الآخرة بتحقيق أعلى الدرجات، وقوله (تعلم علما) جناس يؤكد تحقق الفعل، وحصول العلم الذي يستلزم العمل بموجبه، وإخلاص النية فيه لله، وقوله (مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ - عز وجل) يشير إلى العلم الأخروي، وأسلوب القصر في قوله (لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا) يقصر تعلمه على العرض الدنيوي، وينفيه عن الغرض الأخروي أي ليس لمرضاة الله فيه نصيب، وقَوْله (عَرَضًا) أَيْ: مَتَاعًا، وَفِيهِ دَلَالَة عَلَى أَنَّ الْوَعِيد الْمَذْكُور لِمَنْ لَا يَقْصِد بِالْعِلْمِ إِلَّا الدُّنْيَا، وَأَمَّا مَنْ طَلَبَ بِعِلْمِهِ رِضَا الْمَوْلَى، وَمَعَ ذَلِكَ لَهُ مَيْل مَا إِلَى الدُّنْيَا فَخَارِج عَنْ هَذَا الْوَعِيد، قَوْله (عَرْف الْجَنَّة)

---

(١) برقم (٣٦٦٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٨)، وقال الحاكم (٨٥/١): هذا حديثٌ صحيحٌ سنده، ثقات رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٧٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب غ ى).

(٣) المرجع السابق في (ع ر ض).

أي الرَّائِحَة كناية عن حرمانه من الجنة، وفائدة التعبير بالكناية أن فيها مُبَالَغَة فِي تَحْرِيم الْجَنَّة عليه لِأَنَّ مَنْ لَا يَجِد رِيح الشَّيْء لَا يَتَنَاوَلهُ قَطْعًا، والحديث ينادي بضرورة أن يجعل كل متعلم في تعلمه سبيلا يرضي الله به، ويطلبه من أجله.

فقه الحديث

قال النووي: (يجب على المعلم أن يقصر بتعليمه رحمة الله تعالى، وألا يجعله وسيلة إلى غرض دنيوي)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (من آداب المعلم ... أن ينزه علمه عن جعله سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه)[٢].

وقال القرطبي: (وهذه الآية ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[٣] وإن كانت خاصة ببني إسرائيل، فهي تتناول من فعل فعلهم، فمن أخذ رسوة على تغيير حقأو إبطاله أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه -وقد تعين عليه- حتى يأخذ عليه أجرًا فقد دخل في مقتضى الآية، والله أعلم، وقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجل ...)) الحديث[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخلاص النية في طلب العلم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الحذر من الرياء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ٧٢/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٢٩ - ٨٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١١/٢ - ١٢، وانظر الكتاب نفسه ٣٢/١ - ٣٥.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخلاص النية في طلب العلم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، ومما لا شك فيه أن العلم من أجلّ العبادات وأفضل الطاعات والقربات إلى رب العباد، وأن الله لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[2] وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[4].

قال ابن القيم: (قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يقبل؛ وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾[6].

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[7] وهي الأعمال

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢ - ٣.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٦) سورة النساء، آية: ١٢٥.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله)[١].

قال النبي ﷺ قال الله عز وجل: ((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[٢].

قال النووي: (ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به)[٣]، (فعلى طالب العلم أن يخلص نيته لله؛ بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة؛ لأن الله تعالى حث عليه ورغب فيه، فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[٤]. والثناء على العلماء في القرآن معروف، وإذا أثنى الله على شيء أو أمر به صار عبادة.

إذن فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله عز وجل)[٥].

والعلم الذي ورد فيه الوعيد على ترك الإخلاص فيه لله تعالى هو العلم الشرعي، وذلك لقوله ﷺ في نص الحديث "من طلب علمًا مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنياء لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها. وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (والعلوم تنقسم إلى قسمين، قسم: يراد به وجه الله وهو العلوم الشرعية وما يساندها من علوم عربية، وقسم آخر: علم الدنيا، كعلم الهندسة والبناء والميكانيكا وما أشبه ذلك، فأما الثاني - علم الدنيا - فلا بأس أن يطلب الإنسان به عرض الدنيا، يتعلم الهندسة ليكون مهندسًا يأخذ راتبًا وأجرة، يتعلم الميكانيكا من أجل أن يكون ميكانيكيًا يعمل ويكدح وينوي الدنيا، هذا لا حرج عليه أن ينوي في تعلمه الدنيا، لكن لو نوى نفع المسلمين بما تعلم؛ لكان ذلك خيرًا له وينال بذلك

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٠ - ٣١١.

(٢) اخرجه مسلم ٢٩٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١٧.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) كتاب العلم، ابن عثيمين، ٢٧.

الدين والدنيا، يعني لو قال: أنا أريد تعلم الهندسة من أجل أن أكفي المسلمين أن يجلبوا مهندسين كفارًا مثلاً، لكان هذا طيبًا، أو يتعلم الميكانيكا من أجل أن يسد حاجة المسلمين فيما إذا احتاجوا ميكانيكيين، فهذا خير وله أجر على ذلك، لكن لو لم يرد إلا الدنيا؛ فله ذلك ولا إثم عليه، كالذي يبيع ويشتري من أجل زيادة المال، أما القسم الأول: الذي يتعلم شريعة الله عز وجل وما يساندها؛ فهذا علم لا يبتغي به إلا وجه الله، إذا أراد به الدنيا؛ فإنه لا يجد ريح الجنة يوم القيامة، وهذا وعيد شديد والعياذ بالله، يدل على أن من قصد بتعلم الشرع شيئًا من أمور الدنيا؛ فإنه قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يبارك في علمه، يعني مثلاً، قال: أريد أن أتعلم من أجل أن أصرف وجوه الناس إليَّ، حتى يحترموني ويعظموني...، وما أشبه ذلك، هذا - والعياذ بالله - لا يجد ريح الجنة يوم القيامة)[1].

ثانيًا - من واجبات الداعية: الحذر من الرياء:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ "... لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" (أي لا يريد بطلبه للعلم إلا أن ينال عرضًا من الدنيا مالاً أو جاهًا، وقوله ﷺ "لم يجد عرف الجنة" يعني ريحها وفي ذلك مبالغة في تحريم الجنة لأن من لم يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعًا)[2].

قال النووي: (إن الفضل في طلب العلم إنما هو فيمن طلبه مريدًا به وجه الله تعالى، لا لغرض من الدنيا، ومن أراده لغرض دنيوي كمال أو رياسة أو منصب أو وجاهة أو شهرة أو استمالة الناس إليه أو قهر المناظرين، أو نحو ذلك فهو مذموم، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٨٨/٢.

(٢) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ٥٦٦، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٤٨٨/٢.

(٣) سورة الشورى، آية: ٢٠.

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[3]، والآيات فيه كثيرة.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[4]، ثم ذكر حديث الباب).

ثم قول النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ))[5][6] قال المباركفوري في بيان قوله ﷺ ("من طلب العلم" أي لا لله به "ليجاري به العلماء" أي يجري معهم في المناظرة والجدال ليظهر علمه في الناس رياء وسمعه "أو ليماري به السفهاء" جمع سفيه وهو قليل

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٨.

(٢) سورة الفجر، آية: ١٤.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٠٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٤، حسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٨).

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ١/٥٨ – ٥٩.

العقل، المراد به الجاهل أي ليجادل به الجاهل والمماراة من المرية وهي الشك فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه ويشككه مما يورد على حجته "أو يصرف به وجوه الناس إليه" أي يطلبه بنية تحصيل المال والجاه وإقبال العامة عليه)[1]، ثم بين ﷺ عاقبة ذلك فقال "أدخله الله النار" فعلى الداعية أن يحذر كل الحذر من الرياء في طلب العلم بل عليه أن يخلص نيته وعمله في ذلك لله وحده.

وإخلاص النية كما قال ابن القيم: (هي تصفية العمل من كل شوب أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقدُ متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنًا ما كان)[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(الترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام)[3]، (والأصل أن يكون الترهيب بالله تعالى أو بصفاته مع عدم الغفلة عن الترهيب بعذاب الله، وهذا هو نهج القرآن والسنة المطهرة...، فقد أمر تعالى عباده بالرهبة والخوف منه وعدم الأمن من مكره، فقال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[4] وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾[5] وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٢/٢٠٢٥.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٥.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ٢٥٧.

(٤) سورة البقرة، جزء من آية: ٤٠.

(٥) سورة آل عمران، جزء من آية: ٢٨.

(٦) سورة آل عمران، جزء من آية: ١٧٥.

مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[١] وما جاء في السنة المطهرة أنه ﷺ كان يقول: ((إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للَّهِ))[٢] ومع أن الأصل في الترهيب أن يكون بالله وبصفاته، فإنه يجوز أن يكون بما يصيب الناس من عذابه تعالى في الدنيا والآخرة)[٣].

وهذا ما ورد في الحديث من ترهيبه ﷺ من تعلم العلم لغير الله وذلك ببيان أن من نهج ذلك لم يجد عرف الجنة يوم القيامة.

(١) سور الأعراف، آية: ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ٤١، ٤٢.

الحديث رقم (١٣٩٤)

١٣٩٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاسِ[1]، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ[2] عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأضَلُّوا)). متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

انتزاعًا: محوًا من الصدور[4].

قبض العلماء: بموتهم[5].

رؤوسًا: جمع رأس: السيد المُقدَّم في الناس[6].

الشرح الأدبي

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث خطر غياب العلماء وتصدُّر الجهلاء للفتوى وضلالهم وإضلالهم وذهابهم بسفينة المجتمع إلى غير شاطئ، أيضاً يبين الحديث أن الله لا يقبض العلم إلا بقبض العلماء مما يلزم المجتمع أن يعد العلماء جيلاً بعد جيل حتى لا تنقطع سلسلة النور وأشعة الضياء بموت العلماء، لذلك استخدم الرسول عدة أشكال بلاغية لتقرير هذه المعاني منها: البداية بأسلوب التوكيد عن طريق أداة التوكيد (إن)

---

(١) لفظ البخاري: (العباد) وهذا لفظ مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (لم يترك)، والمثبت لفظ البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣/١٣).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥/١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ب ض).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر أ س).

مع اسمية الجملة في قوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً) تنزيلاً للمخاطبين منزلة المترددين، وتصدير الجملة بلفظ الجلالة (الله) يربي المهابة ويوفر على الأسلوب هالة من القدسية تكون أدعى للإنصات والوعي فالخضوع، وقوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً) (أي: إن الله لا يقبض العلم من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء أو يمحوه من صدورهم، بل يقبضه إليه بقبض أرواح العلماء وموت حملته.

وقال ابن بطال: معناه أن الله لا ينزع العلم من العباد بعد أن يتفضل به عليهم، ولا يسترجع ما وهب لهم من العلم المؤدي إلى معرفته وبث شريعته، وإنما يكون انتزاعه بتضييعهم العلم فلا يوجد من يخلف من مضى فأنذر ﷺ بقبض الخير كله وكان تحديث النبي ﷺ بذلك في حجة الوداع)[1]

وقوله: (انتزاعاً) مصدر مؤكد لعامله وهو نائب عن المفعول المطلق كما ذكر الزمخشري نحو: رجع القهقرى وقعد جلوساً[2] ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً مقدماً على فعله وهو ينتزعه، ويكون (ينتزعه) حالاً من الضمير في يقبض، تقديره إن الله لا يقبض العلم حال كونه ينتزعه انتزاعاً من العباد[3] وعلى القول الأول يكون قوله: (انتزاعاً) توكيداً للفعل يقبض ويفيد معنى شدة القبض والإزالة لأثر العلم وذلك بنزعه في وعائه وهو العلماء، وعلى الثاني: يكون (انتزاعاً) مقدماً على فعله وهو (ينتزعه) وهذا التقديم يفيد أن الله لا يقبض العلم حال كونه منتزعاً من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء أو يمحوه من صدورهم بل يقبضه بقبض العلماء مما يؤكد أهمية العلم وخطر غياب العلماء وضرورة التواصل العلمي بين مختلف الأجيال، وقوله: (ولكن يقبض العلم بقبض العلماء) ولكن للاستدراك وقوله: (يقبض العلم) ذكر المسند إليه (العلم) مع إمكان الاستغناء بذكره سابقاً من قبيل وضع المظهر موضع

---

(١) عمدة القارى ٢/١٨٥.

(٢) ينظر: شرح المفصل للزمخشرى، ص ٥٥، تحقيق د. على بو ملحم.

(٣) عمدة القارى ٢/١٨٤.

المضمر لزيادة تعظيم المضمر كما في قوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[١] بعد قوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢] وكان مقتضى الظاهر أن يقال: هو الصمد كما أن المقتضى هنا: ولكن يقبضه[٣].

وقوله: (حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً) و(حتى) في العبارة تحكي حدوث القبض درجة درجة وكأن هذا القبض صار شبحاً يطارد أطياف النور حتى يترك الأرض ظلاماً يتخبط أهلها في الجهل يلتمسون قائداً فلا يجدون إلا أعمى يقود بصيراً إلى هاوية وسوء مصير، (وإذا) أداة شرط تدل على تحقق الوقوع و(لم) أداة نفي على التأبيد لا تدع مجالاً لرجوع وتقلب الفعل المضارع ماضياً لكن دخول إذا التي للاستقبال أحدث توازناً أبقى الفعل المضارع على أصله،وقوله: (لم يبق عالماً) نكر كلمة (عالماً) لإفادة التعميم لوقوعها في سياق النفي، وكلمة (الناس) تدل على أن الفعل - وهو اتخاذ الرؤوس الجهال - شمل الجميع وانتشر الجهل، وجمع كلمة (رؤوساً) يؤكد هذا الشمول وانتشار الجهل. وقوله (جهالاً) جمع (جاهل) على وزن فاعل تفيد الثبوت والدوام، وقوله: (فسئلوا فأفتوا بغير علم. ..) الفاء الأولى في الجملة عطفت جملة السؤال على جملة الاتخاذ ورتبت المعطوف على المعطوف عليه دون مهلة، مما يؤكد الاندفاع وعدم التروي في اختيار الشخص المستفتى مما يجعل الخطأ في الفعل مشتركاً بين المفتي والمستفتى وبين الناس ورؤوسهم، وقوله: (فأفتوا بغير علم) تتابع الفاءات يدل على تسارع الأحداث، وتلاحقها، وينادي بجرأة هؤلاء، ويؤكد جهلهم الذي جعلهم يفتون دون تروي ويقودون الناس إلى غير طريق لأنهم يسيرون على غير هدى.

وقوله: (بغير علم) إيغال أفاد تأكيد جهلهم لأن قوله قبلها (اتخذ الناس رؤوساً جهالاً) يؤكد أن فتواهم بغير علم فجاء قوله ليؤكد أنهم غير أهل للتصدر للفتوى مما ينادي بضلالهم وضلال من يفتونهم ويرصد لجملة الختام، في قوله: (فضلوا وأضلوا)

---

(١) سورة الإخلاص: ٢.

(٢) سورة الإخلاص: ١.

(٣) عمدة القارى / جـ ٢ / صـ١٨٤.

يعني فضلوا في أنفسهم وأضلوا السائلين، وتتابع الفاءات في قوله ﷺ (فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) يفيد عدة دلالات منها:

أ- التسرع وعدم التروي في اختيار من يستفتى.

ب- الخفة والنزق والجهل المستحكم لهؤلاء الرؤوس المفهوم من سرعة إفتائهم وجملة الإيغال (بغير علم).

ج- وحدة العاقبة والمصير للمفتي والمستفتي حيث أن كلاهما في الضلال.

د- شمول العقاب إذ لا يتوقف ضرر غياب العلماء وترؤس الجهال - على فرد دون فرد بل يشمل المجموع يفهم ذلك من اتصال واو الجماعة بالأفعال الأربعة.

هـ- سرعة العقاب لأن حاجة الناس للمعرفة لا تقتصر على أمور الدين بل يحتاجون لمن يرشدهم ويفتيهم في أمور دنياهم مما يعجِّل بالهلاك ويشل حركة الحياة.

والحديث بأساليبه البلاغية المختلفة أكد حقيقة غابت عن الناس وهي أن ذهاب العلم وعموم الجهل مفضٍ إلى الهلاك المترتب على غياب العلماء، واتخاذ رؤوس جهال يتصدرون للفتوى فيقودون المجتمعات إلى هلاك محقق[1].

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١ - استدل بهذا الحديث على جواز خلو الزمان عن مجتهد وهو قول الجمهور خلافًا لأكثر الحنابلة[2].

٢ - وفي الحديث الزجر عن ترئيس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة.

٣ - وقد يتمسك به من لا يجيز تولية الجاهل بالحكم، ولو كان عاقلاً عفيفًا، لكن إذا دار الأمر بين العالم الفاسق والجاهل العفيف، فالجاهل العفيف أولى، لأن ورعه يمنعه من الحكم بغير علم فيحمله على البحث والسؤال.

(١) ينظر الشرح الكامل في كتاب بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د. ناصر راضي الزهري.

(٢) وفي المسألة نقاش طويل انظره في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٦/١٣ - ٢٨٧.

٤ - وفي الحديث أيضًا حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض. وفيه شهادة بعضهم لبعض بالحفظ والفضل. وفيه حضّ العالم طالبه على الأخذ عن غيره ليستفيده ما ليس عنده)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من واجبات الداعية: طلب العلم وبيان فضله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الإفتاء بغير علم.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

إن التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة التي يفيد منها الداعية في التأكيد على الأمور المهمة في نفوس المدعوين. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على قبض العلم وذلك بقوله ﷺ "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء".

ثانيًا - من واجبات الداعية: طلب العلم وبيان فضله:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث حث على طلب العلم؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأن العلماء سيموتون وذلك لأجل أن نتحاشى ونتدارك هذا الأمر ونطلب العلم)[٢]، وقد بين ابن القيم على أهمية طلب العلم وتحصيله فقال: (إنه سبحانه أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم فقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[٣] وكفي بهذا شرفًا للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه)[٤]، (ومما لا شك فيه أن الآخذ بالعلم آخذ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢)انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٤٩٠ - ١٤٩١.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٥٠.

بالبداية الصحيحة إذ العلم مقدم على القول والعمل كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[1] وبالعلم يحوز الداعية الرفعة في الميزان الرباني وفق قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2] والسعي في طلب العلم تحقيق للغاية التي أرادها الله ووجه إليها في قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[3] وإذا سلك الداعية طريق العلم حظي بالخيرية الربانية الثابتة في حديث الرسول ﷺ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ))[4])[5] فعلى الداعية أن يوقن أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[6]. فيجتهد في تحصيله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من الإفتاء بغير علم:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" قال النووي: (أي أنه يموت حملته - أي العلم - ويتخذ الناس جهالاً يحكون بجهالتهم فيضلون ويضلون)[7]، قال ابن القيم: (وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٦٩٩.

(٥) مقدمات الداعية الناجح، د. علي بادحدح، ٦٣.

(٦) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٢.

ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[١] فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلّث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[٢] فتقدّم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقوله لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه)[٣].

وقد أكد النبي ﷺ على شدة الوعيد في ذلك قائلاً: ((مَنْ قالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ بيتًا في جَهَنَّمَ، ومَنْ أَفْتَى بغيرِ علمٍ كانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ، ومَنْ أَشَارَ على أخيهِ بأمرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّشَدَ في غيرِهِ فقد خَانَهُ))[٤].

قال صاحب عون المعبود: (وقوله ﷺ "من أفتى بغير علم" على بناء المفعول أي من وقع في خطأ بفتوى عالم فالإثم على ذلك العالم وهذا إذا لم يكن الخطأ في محل الاجتهاد أو كان إلا أنه وقع لعدم بلوغه في الاجتهاد حقه. قاله في "فتح الودود".

وقال القاري: على صيغة المجهول، وقيل من المعلوم يعني كل جاهل سأل عالمًا عن مسألة فأفتاه العالم بجواب باطل فعمل السائل بها ولم يعلم بطلانها فإثمه على المفتي إن

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١١٦ - ١١٧.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣٦ - ٣٧، مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٦٤٤/١ - ٦٤٥.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٥٧، وحسنه الألباني لبدون ذكر "من قال علي ما لم أقل فليتبوأ بيتًا في جهنم) (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٥)، وأخرجه أحمد ٣١٢/٢، رقم ٨٢٦٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ١٧/١٤.

قصر في اجتهاده وقوله ﷺ "ومن أشار على أخيه" في "القاموس"[1] أشار عليه بكذا أمره، واستشار طلبه المشورة انتهى، والمعنى أن من أشار على أخيه وهو مستشير وأمر المستشار المستشير بأمر قاله القاري. وقوله ﷺ "يعلم" والمراد بالعلم ما يشمل الظن "أن الرشد" أي المصلحة "في غيره" أي غير ما أشار إليه "فقد خانه" أي خان المستشار المستشير إذ ورد أن المستشار مؤتمن، ومن غشنا فليس منا)[2].

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ٤٢١.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ١٥٦٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العملية للنشء المسلم:

على الأسرة التي هي المحضن الأول لتربية النشء المسلم، أن تَعْلَم أن العلمَ هو أول مطالبها ومبلغ همتها في تربية النشء المسلم، فإن أحسنت إيداعه وأقامت إبداعه، تحقق فضله وعَظُمَ خيره.

"وقد حَمَّل الإسلام الوالدين والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم، فأول شيء يجب أن يتعلمه الناشئ القراءة، وأفضل ما يقرأ كتاب الله لأن أول آية من كتاب الله نزلت تحض على القراءة، قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١)، ولقد تعددت الشواهد والأدلة التي تدعو إلى العلم وتمجد العلماء.

وانطلاقًا من هذا المفهوم ينبغي على المربين والمعلمين أن يرغبوا الناشئين في العلم والتعليم، ويتعين على الوالدين مواصلة تعليم النشء وتربيته، بحسب ما تقتضيه مراحل نموه، فيعلم كيفية النطق ثم الكلام، ثم يؤخذ بتعليم القراءة والكتابة، ومعرفة أمور دينه ودنياه" (٢).

ومفهوم العلم الذي يشيد به القرآن ويدعو إليه في تربية النشء هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم به كل ما يتصل بالحياة. ولا يقتصر على علم الشريعة أو العلم الديني، كما يتبادر إلى بعض الأذهان، أو ما ذاع في عهود التخلف عن القرآن؛ فقد دعا القرآن إلى النظر في ظواهر الوجود، ومظاهر الحياة، وجعل من الكون كتابًا للمعرفة، ووجه القلوب والعقول والأبصار إلى بدائع صنع الله فيه، ودعا إلى التفكر في آياته، واستكناه أسراره، وفهم نظمه ونواميسه، ففتح بهذا العرض والتوجيه باب

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ١٣٥-١٣٦.

العلم، وحرر العقول، والتفكير من أسرار الجمود والجهل، وأغرى بالبحث والدراسة والعلم [١] لما في مخالفة ذلك من خطر عظيم؛ حيث يتخبط النشء في ظلمات الجهل بعيدًا عن نور المعرفة، وربما ضربته أمواج الشبهات وأحاطت به أعاصير الشهوات، فكانت الحسرة والندامة[٢].

وحتى يتسنى للمربي والمعلم تربية النشء المسلم تربية علمية، عليه أن يراعي بعض الوسائل في ذلك والتي منها:

١- تعريف النشء المسلم بمعنى العلم وفضائله العديدة حتى يقفوا على أهميته، ومن ثم تتوق أنفسهم إليه، ويحرصون عليه، ويبذلون في طلبه كل نفيس.

٢- تعريف النشء المسلم بضرورة التعليم، وأهمية طلب العلم التي لا يغفل عنها إلا غافل، ولا يجحدها إلا منكر جاهل.

٣- تعريف النشء المسلم بالأسباب المعينة على طلب العلم حتى يأخذوا بها مستعينين بعد توكلهم على ربهم ومولاهم واستعانتهم به ابتداءً؛ فيُسهل عليهم الطرق الصعاب، ويهوِّن عليهم الأمر؛ فيتعلمون دونما عناء، ولا يجدون في طريقهم أي شقاء [٣].

ثانيًا- تربية الهمة العالية لطلب العلم:

إن تربية الهمة العالية في طلب العلم، وغرسها في نفوس المتعلمين، من أبرز المهمات التي تقع على كاهل المربين والمعلمين، فما من شيء أنفع لطالب العلم من همة عالية تعينه على الصبر والمثابرة في طلب العلم وتعلمه.

وقد تضمنت أحاديث الباب، الحث على تربية الهمة العالية لطلب العلم، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)، وقوله ﷺ: (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ).

وتكون تربية الهمة العالية في طلب العلم بإبراز همة السلف الصالح في ذلك والتي منها:

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ١٣٧-١٣٨.

(٢) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. احمد مصطفى متولي، ١٧٥/٢.

(٣) المرجع السابق، ١٧٥.

قول النووي: "كنت أقرأ كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا، درسين في الوسيط، ودرسًا في المهذب، ودرسًا في الجمع بين الصحيحين، ودرسًا في صحيح مسلم، ودرسًا في اللمع لابن جني، ودرسًا في إصلاح المنطق لابن السكيت في اللغة، ودرسًا في التصرف، ودرسًا في أصول الفقه، ودرسًا في أسماء الرجال، ودرسًا في أصول الدين.

وقال: بعد أن نُوزِع مرة في النقل عن الوسيط: أتنازعوني وقد طالعته أربعمائة مرة.

وقال: فلما كان عمري تسع عشرة سنة، قدم بي والدي إلى دمشق سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض...، وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع المهذب في باقي السنة"(١).

وكان من الهمة العالية في طلب العلم قول ابن عابدين في مقدمة حاشيته للرد على الدر المختار: "وقد كنت صرفت في معاناته برهة من الدهر، وبذلت له مع المشقة شقة من جديد العمر، واقتنصت بشبكة الأفهام أجل شوارده، وقيدت بأوتاد الأقلام جلىّ أوابده، وصرت في الليل والنهار سميره، حتى أسرَّ إلي سرّه وضميره، وأطلعني على حوره المقصورة في الخيام، وكشف لي عن وجوه مخدّراته اللثام، فطفقت أوشي حواشي صحائفه اللطيفة، بما هو في الحقيقة بياض للصحيفة، ثم أردت جمع تلك الفوائد، وبسط سمط هاتيك الموائد، من متفرقات الحواشي والرقاع، خوفًا عليه من الضياع" (٢).

فهذه هي همة العلماء التي أضاءت بسبل الطالبين وكشفت عن طريق المسترشدين لتعلم العلم وتحصيله.

ثالثًا: غرس الإخلاص في نفوس المتعلمين:

مما لا شك فيه أن العلم من أجلِّ العبادات، وأعظم الطاعات، ولا تستقيم طاعة ولا تقبل عبادة إلا بالإخلاص بين يدي العزيز الوهاب؛ لذا كان غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم من أجل الأعمال التي يجدر بالمربين والمعلمين القيام بها على أتم وجه، وذلك بإفراد الحق سبحانه بالقصد في طلب العلم.

---

(١) المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي، جلال الدين السيوطي، مطبوع ضمن كتاب روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٥٤/١، ٥٥، ٥٨.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦٩/١، ٧٠.

وقد بيّن النبي ﷺ أن من ترك الإخلاص لله في طلب العلم لم يجد عرف الجنة يوم القيامة، وحتى يتسنى غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، وجب "الحث على مجاهدة النفس ومصابرتها لتنقاد مع المخلصين، وذلك فضلاً عن ملازمة تقوى الله، واستحضار عظمة الباري جل وعلا.

وقد كان من أعظم وسائل غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، القراءة في أخبار العلماء المخلصين ومعرفة أحوالهم ليكسب طالب العلم معرفة بهم، وقدوة في شمائلهم.

قال أبو حنيفة: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُ إلى من كثير من الفقه لأنها آداب القوم؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾"(1)(2)، وقد كان من أخبار السلف في ذلك قول الشافعي: "لوددت أن الخلق يتعلمون مني، ولا ينسب إليّ منه شيء"(3).

وقال الحسن البصري: "إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرّ فيكون علانية أبدًا"(4).

وأخيرًا... فإن من أعظم الوسائل في غرس الإخلاص في قلوب المتعلمين هو تعلم الدعاء والإلحاح على الله تعالى في ذلك؛ حيث إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، كما جاء في الحديث الشريف(5).

❁ ❁ ❁

---

(1) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(2) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ط١، دار القاسم، المملكة العربية السعودية، ط١٥-١٧ باختصار.

(3) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢٥١/٢.

(4) الزهد، ابن المبارك، ص٤٥.

(5) أخرجه مسلم ٢٦٥٤ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.